سلسلة

المحاضرات العلمية

(١)



إعداد

أ.د. أحمد بن علي القرني

١٤٤١هـ

كتابٌ قد حَوَى دُرَرًا بغيرِ الحُسْنِ لا تُلْحَظْ
لهذا قلتُ تشجيعًا: حُقوقُ الطبعِ لا تُحفَظْ

النشرة الثالثة

جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ

مزيدةٌ ومنقَّحة

الإبداع العلمي
للنشر والتوزيع

للتواصل مع المؤلِّف
على البريد الشَّبَكي

DAL1388@gmail.com

مُجالَسَةُ السُّوقِ مَذْمُومَةٌ

وفيها مجالسُ قد تُسْتَحَبْ

فلا تَقْصِدَنْ غيرَ سُوقِ الجِيادِ،

وسُوقِ السلاحِ، وسُوقِ الكُتُبْ

فتلك مجالسُ أهلِ الهوىٰ

وهذي مجالسُ أهلِ الأدبْ


بسم الله الرحمن الرحيم



مُقدِّمةُ السِّلْسِلَة

الحمدُ لله وكفَىٰ، وصلاةً وسلامًا علىٰ عباده الذين اصطفىٰ.

وبعد:

فهذه محاضرةُ (أسواق الكُتُب)، وهي باكورةُ (سِلسِلةِ المحاضراتِ العِلْميّة) التي ألقيتُها هنا وهناك[(١)].

وهي في معظمها تتناول مواضيعَ علْميةٍ لها تعلقٌ بالكُتُبِ، وبطلبِ العلمِ وآدابِه، وبأحوالِ العلماءِ ... ونحوِ ذلك، مما يُعنىٰ به العلماءُ وطلابُ العلمِ عادةً.

وقد رأيتُ أن أنشرَ ما اجتمعَ لديَّ من هذه المحاضرات[(٢)] بعدَ أنْ أجريتُ عليها بعضَ التشذيبات والتحسينات؛ - لأنّ لغةَ

(١) ربّما أشيرُ إلىٰ الزمان والمكان الذي أَلقيتُ فيه تلك المحاضرة، وربما لا أشير، لا سيما إذا تطاول عهدي بها، ونسيتُ متىٰ وأين ألقيتُها ؟

(٢) يختلف مفهوم (المحاضرات) عند العلماء المتقدِّمين عن مفهومه عندنا في هذا العصر.

=

=

فالمحاضراتُ عندهم يُرادُ بها ثلاثةُ أشياء:

الأول: علـمٌ يَحصُـلُ منـه مَلَكـةُ إيـراد كـلامٍ للغيـر، مناسـبٍ للمقـام، مـن جهـة معانيـه الوضعيّة، أو من جهة تركيبه الخاص.

والغرضُ منه: تحصيلُ تلك الملَكَة.

وفائدتُـه: الاحـترازُ عـن الخطأ في تطبيـق كـلامٍ منقـولٍ عـن الغيـر علىٰ مـا يقتضيـه مقـام التخاطب، من جهة معانيه الأصلية، ومن جهة خصوص ذات التركيب نفسه.

والثاني: استعمالُ كلام البلغاء أثناء الكلام في المحلِّ المناسبِ له علىٰ طريق الحكاية.

والثالث: الحكاياتُ والقَصَصُ والنوادرُ والمسامراتُ ولطائفُ الكَلِم. وهـو مـا نُسـمّيه اليومَ (الثقافة العامّة)، وهذا هو الأشهر.

- وهذا العلمُ معدودٌ من علوم الأدب، ولذا قال الناظمُ:

صـرفٌ، بيـانٌ، معـاني، النحـوُ، قافيـةٌ ... شِـعرٌ، عَـروضٌ، اشـتقاقُ، الخـطُّ، إنشـاءُ

محاضـراتٌ، وثـاني عَشْـرِها لغـةٌ ... تلـك العلـومُ لهـا الآدابُ أسـماءُ

وقال آخرُ:

نحـوٌ، وصـرفٌ، عَـروضٌ، ثـم قافيـةٌ ... وبعـدها لغـةٌ، قَـرْضٌ، وإنشـاءُ

خَـطٌّ، بيـانٌ، معـانٍ، مـعْ محاضـرةٍ ... والاشْـتقاقُ، لهـا الآدابُ أسـماءُ

- ومن الكتـب المصنَّفة فيـه: «**المحاضـرات**» لأبـي جعفـر أحمـد بـن محمـد الطحـاوي الحنفي، و«**محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**» لأبي القاسـم حسـين بن محمد، المعروف بالراغب الأصبهاني، و«**دُرّة الغوّاص في محاضرة الخـواصّ**»، لابن فرحون، و«**المحاضرات والمحاورات**» للسيوطي، وغيرها.

ويـدخل فيـه أيضـًا كتـبُ الأدب المختـارة مثـل: «**ربيـع الأبـرار**» لجـار الله الزمخشـري، و«**فنون المحاضرة**» للراغب الأصفهاني، و«**التذكرة الحمدونية**» لمحمد بـن الحسـن بن محمد بن حمدون، و«**العقد الفريد**» لابن عبد ربه، ونحوها .

=

الخِطابِ غيرُ لغةِ الكِتاب - ، وستتبعها أخواتٌ لها صالحاتٌ إن شاء اللهُ تعالىٰ.

وفي الختام: أسألُ المولىٰ جلّ وعزّ أن ينفع بهذه المحاضرات قائلَها وقارئَها، وأن يُهيِّأَ لها من يعتني بها: تَعلّمًا، وتَعليمًا، وتَرجمةً، ونَشْراً، بفضلِه وكرمِه، ومَنِّه وجُودِه.

كما أسألُه تعالىٰ، «أنْ يجعلَ جميعَ ما تُصوِّرُه أفكارُنا في النفوس، وتُسطِّرُه أيدينا في الطُّرُوس، مُبتغىً به وَجْهُهُ، مُتَوَخّىً فيه رِضْوانُهُ، مأمونًا معَه سَخَطُهُ، مَرْجُوّاً عندَه غُفْرانُهُ، إنه المَوْلَىٰ المُوْلِي كلَّ حَظٍّ جَسِيم، المُوْرِي زِنَادَ كلِّ خيرٍ عَمِيم» [(١)].

=

انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (٢/ ١٦٠٩)، وأبجد العلوم لصديق حسن خان (ص/ ٥٠١)، وحاشية السجاعي علىٰ قطْر الندىٰ (ص/ ٧)، والقواعد الأساسية للهاشمي (ص/ ١٢).

- **أمّا مفهومُ المحاضرات في عصرنا الحاضر،** فهو: أن يتحدّث أحدُهم في ملأٍ من الناس عن موضوعٍ مّا، والبقيةُ يستمعون إليه.

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٥١٣) للدكتور/ أحمد مختار عمر:

حاضَر القومَ: جالسَهم وحادثَهم بما يحضُره ويخطُر في باله.

وحاضَر الطُّلابَ ونحوَهم: ألقىٰ عليهم محاضرةً .

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: للزمخشري (١/ ٥).

وقد أذنتُ لكلِّ مَن أراد تدريسَها، أو ترجمتَها إلىٰ أيّ لغةٍ من لغات العالَم - ولوْ لم يُشْعِرْني بذلك - شريطةَ: أن يكون أهلاً لذلك، وأن لّا يُغيّر شيئًا من معانيها ومَرامِيها.

واللهُ الموفِّقُ والهادي سواءَ السبيل، وصلىٰ اللهُ علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلّم.

وكتب

أ.د. أحمد بن علي القَرْني

طيبة

١٤٣٨هـ



محاضرةُ
أسْواقِ الكُتُب[١]

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أمّا بعد:

فأشكرُ الجامعةَ الإسلاميةَ بالمدينة المنورة ممثلةً في عمادة شئون المكتبات علىٰ إقامة مَعْرِضِ[٢] الكتاب، الذي يُعيد للكتاب وهَجَه وحضورَه ومكانتَه[٣]، بعدما زاحمتْه كثيرٌ من المعارض الأُخرىٰ المنافِسَةِ له في هذه الأعصار !

---

(١) أُلقِيتْ المحاضرة في قاعة الملك سعود بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ضمن فعاليّات معرِض الكتاب لعام ١٤٣٦هـ، الذي تقيمه الجامعةُ الإسلاميةُ سنويّـًا.

(٢) بكَسْرِ الرَّاءِ، لا بفتحِها كما هو جارٍ علىٰ ألسنة أكثرِ الناس، هذا هو الصوابُ.
جاء في المعجم الوسيط (٢/ ٥٩٥): «(المَعْرِضُ): مكانٌ عامٌّ تُعرَض فيه نماذجُ من المنتجات الفنّية، أو الزراعيّة، أو الصناعيّة. ومَعْرِضُ الشيء: موضع عَرْضه وذِكره، يقال: قُلتُه في مَعْرِضِ كذا».

(٣) كان للكتابِ عند الأسلافِ مكانةٌ عظيمةٌ، فقد كان لهم الأنيسَ، والجَليسَ، والنديمَ، والصاحبَ!

=

=

وممّا جاء عنهم في هذا – وهو كثيرٌ جدّاً –:

❁ **قيل لبعضهم:** أما تستوحشُ؟ فقال: يَستوحش مَن معه الأُنسُ كُلُّه؟! قيل: وما الأنسُ كُلُّه؟ قال: الكُتب !

❁ **وقيل لآخَر:** ألا تنادمُ فلانـًا؟ فقال: قد نادمتُ مَن لا يتكلّف لي ولا أتكلّف له، قيل: ومَن هو؟ قال: الكتاب !

❁ **وقال الحسن بن طباطبا العلوي في بعض الكتب:** «الكتبُ حُصون العقلاء إليها يلجأون، وبساتينهم بها يتنزهون».

❁ **وتأخَّر عن بعض الرؤساء نديمٌ له فقال:** يا غلام عليّ بالنديم الذي لا يتغيّر، ولا يتغيّب، قال: من هو؟ قال: الكتاب !

❁ **وقال بعضُ الوزراء:** يا غلامُ ائْتني بأُنْس الخَلوة، ومجمع السَّلْوة، فظنّ جلساؤُه أنه يستدعي شرابـًا، فأتاه بسِفْطٍ فيه كُتُبٌ !

❁ **وقيل لرجلٍ:** مَن يُؤنسُك؟ فضرب بيده إلىٰ كتبه، وقال: هذه! فقيل: مِن الناس؟ قال: الذين فيها !

❁ **وقال بعضُهم:** الكتبُ بساتينُ العلماء.

❁ **وقال آخَرُ:** الكتابُ جليسٌ لا مُؤْنةَ له.

❁ **ورُوي عن عبد الله بن عبد العزيز العُمَري** أنه كان يلزم المقبرة كثيراً، معه كتاب يطالعه، ويقول: لا أوعظَ من قبر، ولا آنسَ من كتاب، ولا أسلمَ من وَحْدة.

❁ **وقال عليُ بنُ الجهْم:** إذا غشِيَني النعاسُ في غير وقتِ نومٍ – وبئس الشيءُ النومُ الفاضِلُ عن الحاجة – قال: فإذا اعتراني ذلك، تناولتُ كتاباً من كُتب الحِكَم، فأجدُ اهتزازي للفوائِد، والأريحيَّة التي تعتريني عند الظفَر ببعض الحاجة، والذي يغشَىٰ قلْبي من سرور الاستبانة وعزِّ التبيين، أشدَّ إيقاظـًا مِن نَهيق الحمير وهَدَّةِ الهَدْم !

❁ **وقال الفضل بن سهل للمأمون** وهو بدمشق بدير مَرّان مُشْرِفٌ علىٰ غُوطتها: يا أمير المؤمنين، هل رأيت في حُسنها شبيهـًا في شيءٍ من مُلْك العرب؟ يعني الغُوطة. قال: بلىٰ والله، كتابٌ فيه أدبٌ، يجلو الأفهامَ، ويُذْكِي القلوبَ، ويُؤنِسُ الأنفسَ أحسنُ منها.

=

=

❁ وقيل للمأمون أيضًا: ما ألذُّ الأشياء؟ قال: التنزُّه في عقول الرجال- يعني قراءةَ الكتب .

❁ وقال أيضًا: «لا شيءَ آثرُ للنفس، ولا أشرحُ للصدر، ولا أوفرُ للعِرْض، ولا أذكىٰ للقلب، ولا أبسطُ للسان، ولا أشدُّ للجَنَان، ولا أكثرُ وِفاقا، ولا أقلُّ خِلافا، ولا أبلغُ إشارةً، ولا أكثرُ عبارةً، من كتابٍ تكثُر فائدتُه، وتقلُّ مَؤونتُه، وتَسقطُ غائلتُه، وتُحمدُ عاقبتُه، وهو مُحدِّثٌ لا يُمَلُّ، وصاحبٌ لا يُخَلُّ، وجليسٌ لا يَتحَفّظُ، ومُترجِمٌ عن العقولِ الماضية، والحِكَمِ الخالِية، والأممِ السالِفة، يُحيِي ما أماته الحفظُ، ويُجدِّدُ ما أخْلَقَه الدهرُ، ويُبرِزُ ما حَجَبتْهُ الغَبَاوةُ، ويَصِلُ إذا قَطعَ الثقةُ، ويَدومُ إذا خانَ المُلوك».

❁ وأنشد الإمام أبو محمد اليحيوي لنفسه في مسجده بمدينة دار السلام بغداد:

اجعلْ كتابَك كالصندوق تفتحُه ... فتأخذُ المالَ منه ثم تُطبقُهُ

فالمالُ يذهبُ فيما لا الْتذاذَ به ... والعلمُ يبقىٰ، ويبقىٰ فيك رونقُهُ

فيه الجمالُ علىٰ التأييد تلبسُه ... وهو الذي لِلِسان العِيّ يُنطِقُهُ

❁ وقال بهاءُ الدين ابنُ حمدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجدتُ الكتابَ خيرَ صاحبٍ وقرين، وأفضلَ رفيقٍ وخدين، لا يخون ولا يَمِين، ولا يمُاكر ولا يُناكر، ولا يَعصي ولا يُنافر، مأمونُ الهفوة والزلّة، محمودُ الخلوة والخَلّة، فهو لمن وُفّق للاعتزال أسلمُ خليل، وأكرمُ أخٍ بَرٍّ وَصول، ولمن سُلب الايثارَ، وحكمتْ عليه غلبةُ الاضطرار، تذكرةً للناسي، وتبصرةً للساهي».

❁ وقال بعضُهم:

نعم المصاحبُ والجليسُ كتابُ ... تلهو به إن خانكَ الأصحابُ

لا مُفشِيًا عند القطيعة سِرّه ... وتُنالُ منه حِكمةٌ وصوابُ

=

=

❁ وقال ناصيف اليازِجي:

أضلُّ الناس في الدنيا سبيلًا ... مُحِبٌّ باتَ منها في وَثاقِ

وأفضلُ ما اشتغلتَ به كتابٌ ... جليلٌ نفعُهُ، حُلْوُ المَذاقِ

وعِشْرةُ حاذقٍ فطنٍ لبيبٍ ... يُفيدُكُ من معانيهِ الدِّقاقِ

وأَخْسَرُ ما يَضيعُ العُمرُ فيه ... فُضُولُ المالِ يُجمعُ للرِّفاقِ!

❁ وكان شيخُنا العلّامةُ حمادٌ الأنصاريُّ يقول: «الكتبُ عندي أفضلُ من قُصور الملوك!».

انظر ما تقدَّم في: الحيوان للجاحظ (١/ ٥٢)، وتقييد العلم للخطيب البغدادي (ص/ ١٢٥)، واللطائف والظرائف للثعالبي (ص/ ٦٥)، والمحاسن والمساوئ للبيهقي (ص/ ٦) فما بعد، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ٢٢)، والآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (٣/ ٥٧٠)، ونشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف للوصابي (ص/ ٢١٧)، ومجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي لأحمد قبّش (ص/ ٤٢٩)، والمجموع في ترجمة العلّامة المحدّث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (١/ ٣٩٥).

❁ لكنَّ أدَقَّ وأرَقَّ، وأحْلَىٰ وأجْلَىٰ، وأمتَعَ وأروَعَ، ما وُصف به الكتابُ، قولُ الجاحظ في كتابه الحيوان (١/ ٣٨) فما بعد: «نِعمَ الذُّخْرُ والعُقدةُ هُو، ونِعمَ الجليسُ والعُدّةُ، ونِعمَ النَّشْرةُ والنُّزْهةُ، ونِعمَ المشتَغَلُ والحِرفةُ، ونِعمَ الأنيسُ لساعةِ الوَحدة، ونِعمَ المعرفةُ ببلادِ الغُربة، ونِعمَ القرينُ والدَّخيلُ، ونِعمَ الوزيرُ والنزيلُ.

والكتابُ وِعاءٌ مُلئَ عِلماً، وظَرفٌ حُشيَ ظَرْفاً، وإناءٌ شُحِنَ مِزاحاً وجِدّاً؛ إن شئتَ كان أبينَ من سَحبان وائل، وإن شئتَ كان أعيا من باقل، وإن شئت ضحكتَ من نوادِره، وإن شئتَ عجبتَ من غرائب فرائده، وإن شئتَ ألهتْكَ طرائفُه، وإن شئت أشجتك مواعظُه.

=

=

ومَن لك بواعظٍ مُلْهٍ، وبزاجرٍ مُغرٍ، وبناسكٍ فاتكٍ، وبناطقٍ أخرسٍ، وبباردٍ حارٍّ ؟ .....

ومَن لك بطبيبٍ أعرابيٍّ ؟ ومَن لك بروميٍّ هنديٍّ، وبفارسيٍّ يونانيٍّ، وبقديمٍ مولَّدٍ، وبميْتٍ مُمتِعٍ ؟

ومَن لك بشيءٍ يجمع لك الأوّلَ والآخرَ، والناقصَ والوافرَ، والخفيَّ والظاهرَ، والشاهدَ والغائبَ، والرفيعَ والوضيعَ، والغثَّ والسمينَ، والشّكلَ وخلافَه، والجنسَ وضدَّه ؟

وبعدُ؛ فمتىٰ رأيتَ بستاناً يُحملُ في رَدْن ، وروضةً تُقلّ في حُجْر، وناطقاً ينطق عن الموتىٰ، ويترجم عن الأحياء ؟!

ومَن لك بمؤنسٍ لا ينام إلّا بنومك، ولا ينطق إلّا بما تهوىٰ ؟ آمنُ مِن الأرض، وأكتمُ للسِّرّ من صاحب السِّرّ، وأحفظُ للوديعة من أرباب الوديعة، وأحفظُ لما استُحفظ من الآدميّين، ومن الأعراب المُعْرِبين، بل من الصّبيان قبل اعتراض الاشتغال، ومن العُميان قبل التمتّع بتمييز الأشخاص، حين العنايةُ تامّةٌ لم تَنقُص، والأذهانُ فارغةٌ لم تَنقسِم، والإرادةُ وافرةٌ لم تَتشعّب، والطّينةُ ليّنةٌ، فهي أقبلُ ما تكونُ للطبائع، والقَضيبُ رَطْبٌ، فهو أقربُ ما يكون من العُلُوق، حينَ هذه الخصال لم يَخلَق جديدُها، ولم يُوهَن غَرْبُها، ولم تتفرّق قُواها .....

ولا أعلمُ جاراً أبرُّ، ولا خليطاً أنصفُ، ولا رفيقاً أطوعُ، ولا معلّماً أخضعُ، ولا صاحباً أظهرُ كفايةً، ولا أقلُّ جنايةً، ولا أقلُّ إملالاً وإبراماً، ولا أحفلُ أخلاقاً، ولا أقلُّ خلافاً وإجراماً، ولا أقلُّ غِيبةً، ولا أبعدُ من عَضِيْهَةٍ (الكَذِب) ، ولا أكثرُ أُعجوبةً وتصرّفاً، ولا أقلُّ تصلّفاً وتكلّفاً، ولا أبعدُ من مُراءٍ، ولا أتركُ لشَغْبٍ، ولا أزهدُ في جدالٍ، ولا أكفُّ عن قتالٍ، من كتابٍ.

ولا أعلم قريناً أحسنَ مُوافاةً، ولا أعجلَ مُكافأةً، ولا أحضرَ معونةً، ولا أخفَّ مؤونةً، ولا شجرةً أطولَ عمراً، ولا أجمعَ أمراً، ولا أطيبَ ثمرةً، ولا أقربَ مجتنىً، ولا أسرعَ إدراكاً، ولا أوجدَ في كلّ إبّانٍ، من كتابٍ.

=

كما أشكر كلَّ من أفادني بفائدةٍ، أو فكرةٍ، أو معلومةٍ، قائلاً لهم:

شكراً جزيلاً لمن أسدىٰ لنا حِكَمًا

غَدَتْ لنا في مطاوي البحث نِبراسَا

فقد أتىٰ عَن رسولِ الله سَيِّدِنا:

«لا يَشكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشكُرُ الناسَا» (١)

=

ولا أعلمُ نَتاجًا في حداثةِ سِنِّه وقُرْبِ ميلادِه، ورُخْصِ ثمنِه، وإمكانِ وُجودِه، يجمع من التدابيرِ العجيبةِ، والعلومِ الغريبةِ، ومن آثارِ العقولِ الصحيحةِ، ومحمودِ الأذهانِ اللطيفةِ، ومن الحِكمِ الرَّفيعةِ، والمذاهبِ القويمةِ، والتجاربِ الحكيمةِ، ومن الإخبارِ عن القرونِ الماضيةِ، والبلادِ المتنازحةِ، والأمثالِ السائرةِ، والأممِ البائدةِ، ما يَجمع لك الكتابُ.

قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ لنبيّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ فوصف نفسَه تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأنْ علّم بالقلم، كما وصف نفسَه بالكرم، واعتدّ بذلك في نِعمِه العِظام، وفي أياديه الجِسام. وقد قالوا: «القلمُ أحدُ اللِّسانيْن»، وقالوا: «كلُّ مَن عَرف النّعمةَ في بيان اللِّسان، كان بفضل النّعمة في بيان القلم أعرفُ» . ثمّ جعل هذا الأمر قُرآنًا، ثمّ جعله في أوّل التنزيل ومُستَفتَح الكِتاب». إلىٰ آخر كلامِه المنصُوصْ، المحلَّىٰ بالجواهر والفُصُوصْ!

ولي مع كلامه هذا عَوْدٌ في سِفْرٍ آخَرَ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ.

۞ **ولقد بلغ من حُبِّ الجاحظ هذا للكتب،** أنه كان يستأجر الدكاكينَ من الورّاقين، ويبيت فيها للنظر في الكتب!

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند (١٣/ ٣٢٢) رقم (٧٩٣٩)، وأبو داود في السنن (٤/ ٢٥٥) رقم (٤٨١١) وإسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

وهذه المعارِضُ التي تُطلُّ علينا مرةً واحدةً في السنة، مدّةَ أسبوعٍ أو أسبوعين فحسْب ! كانت عند المتقدِّمين تُقام طيلةَ العام !

فقد كان عندَهم (أسواقٌ للكتب)[1]، وهذه الأسواقُ تستمرُّ طِوالَ السنة .

وكانت تُقام فيها مزاداتٌ علىٰ الكتب كمزاداتنا اليوم علىٰ العقار والسيارات وما شابهها !

وقد ذكر العلماءُ أنه لا ينبغي لأهل العلم والفضل دخولُ الأسواق، إلا سوقُ السلاح ، وسوقُ الكتب !

قال أبو عبيدة: قال المهلَّب لبنِيه في وصيَّتِه: «يا بَنِيَّ لا تقوموا في الأسواقِ إلاّ علىٰ زَرَّادٍ أو وَرَّاقٍ»[2] .

وقال ابنُ العربي: «لمّا كثُر الباطلُ في الأسواق، وكثُرت فيها المناكِر، كَرِه علماؤُنا دخولَها لأرباب الفضل، والـمُهتدَىٰ بهم في

---

(١) لطيفةٌ: قال النابلسي: «لكلِّ سُوقٍ تأويلٌ، فأمّا سُوقُ الكتب فإن رؤيتَه في المنام دالةٌ علىٰ الهداية، والتوبة، والحكومات، والشرور، والمجادلات !». تعطير الأنام في تعبير المنام (ص/ ١٩٠).

(٢) الحيوان للجاحظ (١/ ٥٢).

والزرّادُ: صانعُ الزَّرَد. والزَّرَدُ يُطلقُ علىٰ حِلَقِ الـمِغْفَر، والدرع، جمع زُرُود. انظر تاج العروس (٨/ ١٤٢)، والمعجم الوسيط (١/ ٣٩١).

الدين؛ تنزيهًا لهم عن البقاع التي يُعصَىٰ اللهُ فيها»، وَفِي الْآثَارِ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ» إنْبَاءً بأنه وحدَه عند صَخَب الخلْق، وَرَغْبِهِمْ في المال، أقبلَ علىٰ ذِكْر الله، لم يقصد في تلك البقعة سواه؛ ليعمرها بالطاعة إن غُمرت بالمعصية، وليحلّيها بالذكر إن عُطّلت بالغفلة، وليعلّم الجهلة، ويذكّر الناسين.

ثم قال بعد ذلك: «وأما الأسواقُ، فسمعتُ مَشْيَخةَ العلم يقولون: لا يُدخلُ إلا سوقُ الكتبِ والسلاحِ.

وعندي أنه يَدخلُ كلَّ سوقٍ؛ للحاجة إليه، ولا يأكلْ فيه، فإن ذلك إسقاطٌ للمروءة، وهدمٌ للحشمة» [١].

قال القُرطبيُّ معلِّقًا علىٰ كلامه: «قلتُ: ما ذكرتْه مَشْيَخةُ أهلِ العلم فنعمّا هُو؛ فإنّ ذلك (يعني: سوقَ الكتبِ والسلاحِ) خالٍ عن النظر إلىٰ النِّسوان ومخالطتهن، إذ ليس بذلك من حاجتهنَّ! [٢]، وأمّا غيرُهما من الأسواق فمشحونةٌ منهنَّ! وقِلَّةُ الحياء قد غلبتْ

(١) أحكام القرآن (٣/ ١٤١٤).

(٢) ماذا سيقولُ الإمامُ القرطبيُّ لو شاهد النساءَ اليومَ في معارض الكتب وهنَّ يَسرحْنَ ويَمرحْنَ فيها؟! متعطِّراتٍ! متزيّناتٍ! سافراتٍ! ليس لمعظمهنَّ هدفٌ إلّا الفتنةُ! والاستعراضُ! ومزاحمةُ الرِّجال! والتقاطُ الصُّوَر! والتكالبُ علىٰ اقتناء ما سَمُجِ من كتب (الروايات)! فإلىٰ الله المشتكىٰ.

عليهنّ، حتىٰ ترىٰ المرأةَ في القيساريّات[(١)] وغيرهنّ قاعدةً متبرِّجةً بزينتها، وهذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا. نعوذ بالله من سَخَطِه»[(٢)].

وما ذكَرتْه المشْيخَةُ نَظَمَهُ بعضُ العلماء بقوله:

مُجالسَةُ السوق مَذمومةٌ
وفيها مجالسُ قد تُستَحَبْ

فلا تَقْصِدَنْ غيرَ سوق الدوَا
بِ، وسوقِ السلاحِ وسوقِ الكُتُبْ

فتلك مجالسُ أهلِ الهوىٰ
وهذي مجالسُ أهلِ الأدبْ ![(٣)]

---

(١) القَيْسارِيّة: كلمةٌ مُستعمَلَةٌ بالمغرب في كل مدينةٍ علىٰ الخصوص. وتَعني السوقَ الذي تُحيط به الأسوارُ؛ حيث يتجمّع معظمُ التجّار علىٰ اختلاف بضاعتهم من لباسٍ أو ما شابه. والكلمةُ من أصلٍ يونانيٍّ. مجلّة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد (٩٥) (ص/ ١٩). وانظر معجَم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي لمحمد أحمد دهمان (ص/ ٧٦ و١٢٦)، وتكملة المعاجم العربية لدوزي (٨/ ٤٣٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧).

(٣) تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص/ ١٢٥).

وقد ورد البيت الثاني في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٣/ ١٨٥) هكذا:

فلا تقربنْ غيرَ سوقِ الجِيادِ، وسوقِ السلاحِ، وسوقِ الكتبْ

وهو الأشبه.

وسوف أُوردُ هنا طَرَفًا من اللطائف والنوادر والحكايات، ممّا كان يجري في أسواق الكتب تلكَ.

ففـي «معجـم الأدبـاء» ليـاقوت الحمـوي (٢/ ٨٠٣) جـاء في ترجمة العلّامة حبشي بن محمد بن شعيب الشيباني - وكـان كفيـفَ البصر -: «كان - مع هذا العلم - إذا خرج إلىٰ الطريـق بغير قائدٍ لا يهتدي كما يهتدي العميان! حتىٰ سُوقُ الكتب الـذي كـان يأتيـه في كل ليلةٍ، عشرينَ سنةً! ولم يكن بعيدًا عن منزله!»[1].

وفيـه أيضـًا (٦/ ٢٨٣٠) قـال عـن يحيىٰ بـن محمـد الأرزني: «إمـامٌ في العربيـة مليح الخـطِّ، سـريع الكتابـة، كـان يخـرج في وقـت العصر إلىٰ سوق الكتب ببغداد، فلا يقوم من مجلسه حتىٰ يكتـب» الفصـيح «لثعلـب[2] ويبيعـه بنصـف دينـار، ويشـتري نبيـذًا ولحمًـا وفاكهةً، ولا يبيتُ حتىٰ يُنفقَ ما معه منه!»[1].

---

(١) وانظر نكت الهميان في نكت العميان (ص/ ١١١)، والوافي بالوفيات للصفدي (١١/ ٢٢٠).

(٢) **فائدة**: روىٰ محمد بن الحسن البناء عن بعض شيوخه قولَه: «ثلاثةُ مختصراتٍ في ثلاثة علوم لا أعرف لها نظيراً: الفصيح لثعلب، واللُّمع لابن جنّي، وكتاب الخِرقي، ما اشتغل بها أحدٌ وفهمها كما ينبغي إلا أفلح وأنجح». المنهج الأحمد ٢/ ٦٢.

۞ **لطيفة**: جاء في تفسير ابن عرفة (١/ ٣٦٩): «وحكىٰ لنا شيخُنا القاضي أبو عبد الله بن عبد السلام: أنه رأىٰ في سوق الكُتْبِيّين «الفصيحَ» لثعلب، وعلىٰ ظهره بخطِّ سيّدي أبي علي عمر القرويّ تعدادَ ما توهّم أنه وقع فيه من الآثام والخطايا! فقال =

ومن العجائب ما جاء في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد (٩/ ١٨٠) حيث نقل عن البقاعي قولَه عن فتح الدّين فتح الله بن معتصم بن نفيس الدّاودي الطبيب: «كان ذا باعٍ طويلٍ في الطبّ، حتّىٰ إنه مرّ يومـاً في سوق الكُتْبِيّين فرأىٰ شخصاً ينسخ في كتابٍ وليس به مرضٌ، فتأمّله وقال: هذا يموت اليوم، فكان كذلك!!».

أدرك ذلك بفطنته وخِبرته من خلال ملاحظة حالِه وحركة يده! فأين هذا من طِبّنا اليوم ؟!

وقال النُّويري: «استهلّت سنةُ إحدىٰ وثمانين وستمائة، وفيها في حادي عشرين شهر رمضان احترقت الأسواقُ التي بدمشق، واحترق فيه سوقُ الكُتْبيّين، فكان ما احترق فيه لشمس الدين إبراهيم الجزري الكُتْبي (٢) خمسةَ عشرَ ألف مجلدٍ؛

=

في جملتها: وتكلّم عمرُ القرويُّ في اليوم الفلانيّ، في مسألةٍ من النحو مع الطلبة وهو غيرُ ضابطٍ لأصولها !».

(١) وانظر بغية الوعاة للسيوطي (٢/ ٣٤٣).

(٢) **قال الصفدي في ترجمته:** «إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز شمس الدين الجزري الكُتبي المعروف بالفاشوشة ! ولد سنة اثنتين وست مائة، كان يذكر أنه سمع من فخر الدين ابن تيمية، وتوفي سنة سبع مائة، وكان تاجراً بسوق الكتب بدمشق، له فيها دُكّان كبير، وكتب كثيرة، وخبرة تامة بالكتب، يقال: إنه لما احترقتْ اللبّادين احترق له خمسةُ آلاف مجلد، ولم يبق له غير الكتب التي كانت عند الناس في العرض، أو في العارية.

=

غير الكراريس والأوراق !!»[(١)] .

وفي كتاب «العبر في خبر من غبر» للذهبي (٤/ ١١٧) ذكر أنه في سنة أربعين وسبعمائة في ليلة السادس والعشرين من شوّال وقع حريقٌ كبيرٌ بدمشق، فأتىٰ علىٰ سوق الكتب والورّاقين .

قال: «وعُدِم للناس فيه من الأموال والمتاع ما لا يُحصَر، ونُسب فعلُ ذلك إلىٰ النصارىٰ، فأُمسِكَ كبارُهم وسُمِّروا حتىٰ ماتوا» .

ومن الغرائبِ ما جاء في ترجمة الحافظِ الحسنِ بنِ أحمد العطّار، أبي العلاء الهمداني (ت ٥٦٩ هـ)، فقد قال طلحةُ بنُ مظفَّر العلثي: بِيعت كتبُ ابن الجواليقي في بغداد، فحضرها الحافظُ أَبُو العلاء الهمداني، فنادَوْا علىٰ قطعةٍ منها: ستين ديناراً، فاشتراها الحافظُ أبو العلاء بستين ديناراً، والإنظارُ من يوم الخميس إلىٰ يوم الخميس. فخرج الحافظُ، واستقبل طريقَ همدان، فوصل فنادىٰ

=

وكان يترفَّض! قيل إنه جاء إليه إنسانٌ في بعض الأيام وقال له: هل عندك كتاب فضائل يزيد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟! فقال: نعم، ودخل إلىٰ الدكان وخرج وفي يده جِرابٌ عتيقٌ وجعل يضربه علىٰ رأسه، ويقول: العجبُ كونُك ما قلتَ: صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !!». الوافي بالوفيات (٥/ ٢٢٣).

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب (٣١/ ٥٩) بتصرّفٍ. وانظر السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (٢/ ١٦٣).

علىٰ دارٍ له، فبلغتْ ستينَ ديناراً. فقال: بِيعوا. قالوا: تبلغُ أكثرَ من ذلك. قال: بِيعوا. فباعوا الدارَ بستينَ ديناراً فقبضها، ثم رجع إلىٰ بغداد. فدخلها يوم الخميس، فوفَّىٰ ثمنَ الكتب. ولم يشعر أحدٌ بحاله إلّا بعد مدةٍ !! [(١)] .

ومثلُه ابنُ الخشّاب، اللغويُّ المشهورُ، فقد ذكر سبطُ ابن الجوزي عنه أنه كان مُغْرَىً بشراء الكتب. قال: حضر يومًا سوقَ الكُتْبيّين فنُودِيَ علىٰ كتابٍ بخمسمائة دينار ! ولم يكن عنده شيءٌ، فاشتراه وقال: أخّروني ثلاثةَ أيامٍ، ومضىٰ فنادىٰ علىٰ داره !! فبلغتْ خمسمائة دينار، فقبّض صاحبَها وباعه بخمسمائة دينار، فوفّاه من ثمن الكتب وبقيت الدارُ له بعشرين ديناراً، وقيل: بغير شيءٍ !!

فانظر كيف باع دارَه؛ من أجل أن يشتريَ بثمنها كتابًا واحداً !!

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٧).

لطيفة: قال ابنُ الجوزي عن أبي العلاء الهمداني هذا: قدم بغدادَ فأكثر من السماع، وحصَّل الكتبَ الكثيرةَ، وعاد إلىٰ بلده همذان فاستوطنها ... بلغني أنه رُئي في المنام في مدينةٍ جميعِ جدرانها من الكتب، وحوله كتبٌ لا تُحَدُّ، وهو مشتغلٌ بمطالعتها، فقيل له: ما هذه الكتبُ؟! قال: سألتُ اللهَ أن يشغلَني بما كنت أشتغل به في الدنيا، فأعطاني. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٨/ ٢٠٨). وعنه ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٨).

ومِن شِدّة وَلَعِه باقتناءِ الكتب - عفا اللهُ عنه - أنه كان إذا حضر سوقَ الكتب وأراد شراءَ كتابٍ؛ غافَل الناسَ وقطع منه ورقةً، وقال: إنه مقطوعٌ؛ ليأخذه بثمنٍ بخْسٍ ! فإذا اشتراه أعاد الورقةَ في بيته ![1].

قال الذهبيُّ معلِّقًا: «إن صحَّ هذا، فلعلّه تاب، والله يغفرُ له»[2].

وجاء في كتاب «**صفحات من صبر العلماء**» لعبد الفتاح أبو غدّة (ص: ٢٧٨) في ترجمة علّامة حلب في عصره الشيخ أحمد الحجّار، المتوفى (سنة ١٢٧٨ هـ): أنه كان يحبُّ اقتناءَ الكتب، حتى إنه رأى كتابًا يُباع، ولم يكن معه دراهمُ، وكان عليه ثيابٌ، فنزع بعضَها وباعه واشترى الكتابَ في الحال! وبلغتْ قيمةُ مكتبته بعد موته أربعين ألفًا، مع أنها بِيعت بغير أثمانها!

---

(١) انظر القصّتين في معجم الأدباء لياقوت الحموي (٤/ ١٤٩٥)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ٣٦٦)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢/ ٣٠).

(٢) **قال ابنُ الجوزي:** مَرِضَ ابنُ الخشاب نحواً من عشرين يومـًا، فدخلتُ عليه قبل موته بيومين، وقد يئس من نفسه، فقال لي: عند الله أحتسبُ نفسي ....

وحدثني عبد الله الجبائي العبد الصالح قال: رأيتُه في النوم بعد موته بأيام، ووجهه يُضيء، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: وأدخلك الجنة؟ قال: وأدخلني الجنة، إلا أنه أعرض عني، فقلت له: أعرض عنك؟ فقال: نعم، وعن جماعةٍ من العلماء تركوا العمل. سامحه الله وغفر له. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٢٦١).

وحصل ذلك أيضًا للشيخ عبد الفتّاح أبو غدّة في أيام الطلب، فقد ذكر أنه عُرِضتْ للبيع مجموعةٌ من الكتب النادرة له بها اهتمامٌ بالغٌ، ولم يكن معه سوىٰ شالةٍ (نوعٌ من اللباس) ورثها عن أبيه، فباع شالتَه تلك في سوق الحراج، واشترىٰ بثمنها تلك الكتب! [(١)] .

وفي «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العُمَري (٩/ ٢٧٦) ذكر أبو الفتح بن سيد الناس عن شيخه ركن الدين ابن القَوْبَع أنه لما قدم إلىٰ الديار المصرية حضرَ سوقَ الكتب، وكان مع المنادي ديوانُ ابن هانئ المغربي، فأخذه الشيخُ ركنُ الدين واشتراه، وذكر قصةً لطيفةً في النحو [(٢)] .

---

(١) المرجع نفسه.

لطيفة: مِن العلماء المعاصرين الذين كانوا يبيعون ما فوقَهم وما تحتَهم ليشتروا كتابـًا، شيخُنا العلّامةُ حمّادٌ الأنصاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد حدّثني ذاتَ مرّةٍ أنه اشترىٰ جزءاً واحداً من مخطوط كتاب: «**التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل**» لابن كثير – وهو في أربعة أجزاءٍ – بأربعةِ آلافِ ريالٍ!! فيما أذكر.

(٢) وهي أن الشيخ ركن الدين أخذ يترنّم بقول ابن هانئ:

فتكاتِ لحظِك، أم سيوفَ أبيكِ ؟ وكؤوسَ خمركِ، أم مراشفَ فيكِ ؟

وكسَر التاء، وفتَح الفاء والسين والفاء، فالتفت إليه ابنُ النحاس، وقال له: ما ذا إلا نصبٌ كثيرٌ !

فقال له الشيخ ركن الدين – بتلك الحدَّة المعروفة منه والنُّفْرة –: أنا أعرِفُ الذي تريده أنتَ من رفع هذه الأشياء، علىٰ أنها أخبارٌ لمبتدآتٍ مقدّرةٍ، أي: أهذه فتكاتُ لحظك، أم كذا، أم كذا؟ وأنا الذي أقوله أغزلُ وأمدحُ، وتقديره: أأقاسي فتكاتِ =

وفي «**أعيان العصر وأعوان النصر**» لصلاح الدين الصفدي (١/ ٤٥) ذَكَر في ترجمة إبراهيم بن أحمد بن هلال الحنبلي برهان الدين الزرعي، قال: «كان يميل إلىٰ التَّسرّي [(١)] بالأتراك، ويقع معهن في الحبائل والأشراك! فكنتُ أراه جمعةً في سوق الجواري، وجمعةً في سوق الكتب؛ ليَجمع بذلك بين الدُّرّ والدَّراري!! وتعلَّمَ اللغةَ التركيّةَ من جَواريْه، وتكلَّمَ بها فقلَّ من يُؤاخذه فيها لما يجاريه» [(٢)].

=

لحظك، أم أقاسي سيوفَ أبيك، وأرشف كؤوسَ خمرك، أم مراشفَ فيك. فأخجلَ ابنَ النحاس، وقال: يا مولانا! فلم لا تتصدّر وتشغل الناس؟

فقال- استخفافًا بالنحو، واحتقاراً له -: وأيشٍ هو النحوُ في الدنيا؟ النحوُ علمٌ يُذكر؟ أو كما قال. انظر مسالك الأبصار للعمري (٩/ ٢٧٦)، والوافي بالوفيات (١/ ١٨٨)، وأعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (٥/ ١٥١)، والدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ٤٤٦)، وبغية الوعاة للسيوطي (١/ ٢٢٧)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٣٩)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي (ص/ ٣٨٧).

(١) **التسرِّي**: هو اتخاذُ السَّراري، واحدُها سُرِّيَّةٌ، وهي الأمَةُ يتّخذُها سيِّدُها للوطء.

قال الأزهري: اخْتلفُوا فِي السُّرِّيّة من الإماءِ لِمَ سُمِّيتْ سُرِّيّة؟ فقال بعضُهم: نُسبَتْ إِلَىٰ السِّرِّ وَهُوَ الْجِماع، وضُمَّت السينُ فَرْقًا بَين المَهيرة وَبَين الْأمة تكونُ للوطْء، فيُقَال للحُرَّة إِذا نكحَت سِرّاً: سِرِّية، وللأَمَةَ يتَسَّراها صاحبُها سُرِّيّة.

وأخبَرَني المنذريّ عَن أبي الهَيْثم أَنه قَالَ: السُّرُّ: السُّرُورُ فسمِّيت الجاريةُ سُريّةً لِأَنَّهَا مَوضِع سُرورِ الرجل، وَهَذَا أحسنُ الْقَوْلَيْنِ. تهذيب اللغة (١٢/ ٢٠٣). وانظر الزاهر في معاني كلمات الناس للأنباري (٢/ ٣١٣).

(٢) وانظر الوافي بالوفيات (٥/ ٢٠٤).

وقال ابنُ حجر عن بدر الدين الزَّرْكشي: «كان منقطعًا في منزله لا يتردّد إلىٰ أحدٍ، إلّا إلىٰ سوق الكتب، وإذا حضره لا يشتري شيئًا [١]، وإنما يُطالع في حانوت الكُتْبي [٢] طولَ نهاره، ومعه ظُهورُ أوراقٍ يُعلِّق فيها ما يُعجبه، ثم يرجع فينقله إلىٰ تصانيفه!» [٣].

وعكسُهُ شيخُ العربية بهاءُ الدين بنُ النحَّاس، فقد نقل عنه الصفديُّ قولَه: «ما يزال عندي كتبٌ بألف دينار، وأحضرُ سوقَ

---

(١) **قلتُ**: لعلّ هذا كان في أول أمره، ثمّ رزقه اللهُ بعد ذلك المالَ الوفير؛ فقد قال في كتابه البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٦): «وقد اجتمع عندي - بحمد الله - من مصنَّفات الأقدمين في هذا الفن ما يربو علىٰ المئين !».

(٢) **قلتُ**: قد وقفتُ - بحمد الله أثناءَ مطالعاتي - علىٰ اسم هذا الكُتْبي، وهو عبد الكريم بن إبراهيم بن أحمد كريم الدين المصري الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ففي الضوء اللامع للسخاوي (٤/ ٣٠٦) قال عنه: «هو آخرُ من بقي بسوق الكُتْبِيّين. قلتُ: وبلغني أن البدر الزركشي كان يكثر الجلوس بحانوتٍ من حوانيته التي بها ما لا يَحتاج لبيعه غالبًا، طِوال النهار غالبًا؛ للمطالعة والكتابة ونحو ذلك».

❁ **لطيفةٌ**: قال الحافظُ ابنُ حجر عن عبد الكريم الكُتْبِيِّ هذا: «كان للطلبة به نفعٌ؛ فإنه كان يشتري الكتبَ الكثيرةَ، وخصوصًا العتيقةَ، ويبيع لمن رام منه الشراءَ من الطلبة برأس ماله، أو بفائدةٍ بعينها، ويشترط له أنه متىٰ رامَ بيعَ ذلك الكتاب يدفعُ له رأسَ ماله، فكان الطالبُ ينتفع بذلك الكتاب دهراً، ثم يأتي به إلىٰ السوق فيُنادِي عليه، فإن تجاوز الثمنَ الذي اشتراه باعَه، وإن قَصُر عنه أحضره فاشتراه منه برأس ماله، ولا يَخرُمُ معهم في ذلك» . إنباء الغِمر بأبناء العُمر (٣/ ١٠٩).

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ١٣٤).

الكتب دائمـًا، ولا بـدّ أن يتجـدَّد لـي عِلـمٌ باسـم كتـابٍ مـا سـمعتُ به»[١].

وقـال ابـنُ حجـر عـن عمـر بـن علـي بـن أحمـد الأنصـاري المعـروف بـابن الملقِّـن: «كـان يقتنـي الكتـبَ، بلغنـي أنـه حضـر في الطاعون العامّ بيعَ كتبِ شخصٍ من المحدِّثين، فكان وصيُّه لا يبيع إلّا بالنقـد الحاضـر، قـال: فتوجهـتُ إلـىٰ منزلـي فأخـذتُ كيسـًا مـن الدراهم، ودخلتُ الحلقةَ فصببْتُه! فصرتُ لا أزيـد في الكتـاب شـيئًا إلا قـال: بِـعْ لـه، فكـان فيمـا اشـتريتُ مسـندَ الإمـام أحمـد بثلاثـين درهمـًا»[٢].

وفي «طبقـات الشـافعية الكبـرىٰ» للسُّـبكي (٩/ ١٦٣) ذَكَـر في ترجمة صفيّ الدين الهندي الأرموي قصةً لطيفةً وقعتْ لـه في سـوق الكتب، قال: «كان خطُّه في غاية الرداءة، وكان رجلًا ظريفًا سـاذَجًا، فيُحكَىٰ أنه قال: وجدتُ في سوق الكتب مرةً كتابًا بخطٍ ظننتُه أقبحَ من خَطّي! فغاليتُ في ثمنه، واشتريتُه؛ لأحتجّ بـه علىٰ مـن يـدّعي أن خطّـي أقـبحَ الخطـوط، فلمـا عُـدتُّ إلـىٰ البيـت وجدتُـه بخطّـي القديم !!».

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر (٤/ ١٩٦) . وانظر الوافي بالوفيات (٢/ ١١).

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر (٥/ ٤٢).

وفي «لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ» لابن فهد المكي (ص/ ٩٤) أنّ الحافظ مُغَلْطَاي بن قَليج البَكْجَري لمّا ألّف كتابَه «الواضح المبين في ذكر من استُشهِد من المحبِّين» حصل له بسببه محنةٌ عُزِّرَ واعتُقل فيها، ومُنع أهلُ سوق الكتب من بيعه! [(١)].

وفي «فوات الوفيات» للكُتْبي (٤/ ١٨٤) في ترجمة ناصر بن علي بن خلف، الوجيه المعروف بابن صُورة الكُتْبي؛ قال: «كان سِمسَاراً [(٢)] في الكتب بمصر، وله في ذلك حظٌّ كبيرٌ، وكان يجلس

---

(١) وسببُ ذلك؛ أنه لما رحل الحافظُ صلاحُ الدين العلائي في (سنة ٧٤٥) إلىٰ القاهرة بابنه شهاب الدين أبي الخير أحمد؛ ليُسمعه علىٰ شيوخ العصر بها، وقف في سوق الكتب علىٰ كتابٍ للمترجَم، جمعه في العشق، وتعرَّض فيه لذكر الصِّدِّيقة عائشة! فأنكر عليه ذلك، ورفع أمره إلىٰ القاضي الحنبلي - وهو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسي - فاعتقله بعد أن عزَّره، فانتصر له الأميرُ بدرُ الدين جنكلي بن محمد بن البابا العجلي، وخلَّصه. التنبيه والإيقاظ للطهطاوي (ص/ ٦٢).

(٢) السَّمسارُ: هو الدَّلَّالُ.

❁ فائدة: في شرح الزُّرقاني علىٰ الموطأ (٣/ ٥٠٩) في مَعرِض كلامه عن النَّجْش، نقَلَ عن ابن عَرفة أنه كان بسوق الكُتْبيّين بتونس رجلٌ مشهورٌ بالصلاح، عارفٌ بقيمة الكتب، يستفتح للدلّالين ما يَبنون عليه، ولا غَرَض له في الشراء. قال: وهذا الفعلُ جائزٌ علىٰ ظاهر تفسير مالكٍ وقولِ ابنِ العربي، لا علىٰ قول الأكثر. وانظر المختصر الفقهي لابن عرفة (٥/ ٣٣٩)، وبدائع السِّلك في طبائع المُلْك لابن الأزرق (٢/ ٤١٦).

=

في دِهليز داره لذلك، ويجتمع الناس عنده يوم الأحد والأربعاء من أعيان الرؤساء والفضلاء، ويعرض عليهم الكتب التي تُباع، ولا يزالون عنده إلىٰ انقضاء وقت السوق»(١).

= ❁ وممّا يُستملَحُ ذِكْرُه هنا، أن رجلاً دلَّالاً كان في سوق الكُتْبيّين يُسمىٰ عَدْلان، فكان العزُّ ابنُ عبد السلام يمزح معه بقوله: أنت عَدْلُكَ عن الحقّ إلىٰ الباطل أو العكس؟!. انظر تفسير ابن عرفة (٢/ ٢٦١).

(١) من اللطائف أن ابن صُورةَ هذا كانت له دارٌ مليحةٌ موصوفةٌ بالحُسْن فاحترقتْ، فقال في ذلك أبو الحسن علي بن المنجّم:

أقول وقد عاينتُ دارَ ابن صورةٍ … وللنار فيها مارجٌ يَتضرَّمُ

كذا كلُّ مالٍ أصلُه من نَهاوشٍ … فعمّا قليلٍ في نَهابرَ يُعدَمُ!

قلتُ: البيتُ الثاني مأخوذٌ من حديث: «مَنْ أصاب مالاً من نَهاوش، أذهبه الله في نَهابر»!

والنَّهاوِشُ: الحرامُ، والنَّهابِرُ: المهالِكُ.

لكنه حديثٌ باطلٌ لا يصحُّ، قال عنه الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يصحُّ. رواه القُضاعيُّ في مسند الشهاب» (ق ٣٧/ ٢) والرَّامَهُرمُزيُّ في «الأمثال» (ص/ ١٦٠) عن عمرو بن الحصين قال: أنبأنا محمد بن عبد الله بن علاثة قال: أنبأنا أبو سلمة الحمصي مرفوعًا.

قلتُ: وهذا إسنادٌ ساقطٌ، عمروٌ هذا كذابٌ كما سبق مراراً، وقال السخاوي في «المقاصد» (رقم ١٠٦١): عمرو متروك، وأبو سلمة واسمه سليمان بن سلم وهو كاتب يحيىٰ بن جابر قاضي حمص، لا صحبة له، فهو مع ضعفه مرسل، وقد عزاه الديلمي ليحيىٰ بن جابر هذا وهو أيضا ليس بصحابي، وقال التقي السبكي في «الفتاوىٰ» (٢/ ٣٦٩): إنه لا يصح، وله كلام طويل في نقضه وقد =

=

ذكر العسكري في «التصحيفات» (١ / ٢٢٩) عن أبي عبيد أنه غير محفوظ.
سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/ ١١٥).

❁ **تنبيهٌ**: وقع الخُلْفُ في كلمة: (نهاوش) الواقعة في الحديث. فقيل: نَهاوِش. وقيل: مَهَاوِش. وقيل: تَهاوُش.

قال أبو عبيد القاسم بن سلّام: «قَالُوا: المَهاوشُ: كلُّ مَالٍ أُصِيب من غير حِلّه كالسرقة وَالْغَصْب والخيانة وَنَحْو ذَلِك فَهُوَ شَبيه بِمَا ذكرُوا من الهَوَشات بل هُوَ مِنْهَا. وَأما النهابِر فَإِنَّهَا المهالك فِي هَذَا الْموضع. وَبَعض النَّاس يَرْوِيهَا:» من أَصَاب مَالاً من نهاوِش«بالنُّون وَلَا أعرف هَذَا وَالْمَحْفُوظ عندنَا بِالْمِيم». غريب الحديث (٤/ ٨٦).

وقال الخطّابي: «**في الحديث**: (مَنْ جَمَعَ مالاً مِن نَهاوِش). هكذا يقولُ أصحابُ الحديثِ: بالنونِ، وهو غَلَطٌ. إنّما هو: من تَهاوُش، وزنُهُ: تفاعُل، من الهَوْشِ، وهو الاختلاطُ». إصلاح غلط المحدّثين (ص/ ٦٨).

لكن قال الزمخشريُّ: وروي: نهاوش بالنُّون، فَإِن صحَّت فَهِيَ الْمَظَالِم والإجحافات بِالنَّاسِ من قَوْلهم: نهشه إِذا جَهَده، والمنهوش المجهود. الفائق في غريب الحديث (٤/ ١١٨).

وانظر جمهرة اللغة لابن دُريد (٢/ ٨٨٣)، وغريب الحديث للخطابي (٢/ ٥٦١)، ومجمع بحار الأنوار للفتني (٥/ ١٧٨)، وتاج العروس للزبيدي (١٤/ ٣٢٢).

❁ وفي ابن صورة يقول ابنُ الساعاتي وقد غَدَرَ به في كتابٍ:

يا خائنًا ما كنتُ أحسـ ... ـبُه يخفُّ إلى الخيانهْ
أصبحتَ في سَلْبِ القلو ... ب، وذاك من عدم الديانهْ !
كفتى زبيدٍ في العما ... رة، وابن صورةَ في الأمانهْ !
فامررْ عليه وقلْ له ... في الستر منه والصيانهْ:
يا ريشكون غدرت بي ... إن كنت تُحسِن بالرطانهْ !

=

وقال الحافظُ ابنُ حجر عن عبد المؤمن بن عبد الرحمن بن محمد بن العجمي: «وهو من بيتٍ كبيرٍ بحلب، وقدم القاهرةَ فحظيَ بها، واتَّجر في الكتب، فحصَّل منها مالاً جمّـًا ... وانقطع مدةً في آخر عمره لا يخرج إلا إلىٰ صلاةٍ، أو عيادةِ مريضٍ، أو سوقِ الكتبِ» (١) .

ولْنختِمْ هذه المقدِّمة بهذه القصة اللطيفة، ففي «**نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب**» للمقَّري (١/ ٤٦٢): «قال الحضرميُّ: أقمتُ مرّةً بقرطبة، ولازمتُ سوقَ كتبها (٢) مدةً أترقَّب فيها وقوعَ

=

قال محقّقُ الكتاب: «ريش كن بالفارسية تعني من ذهب جهده سُدىٰ. والأقرب أن تكون ريش كاو: وهو البليدُ أو الجَشِعُ».

انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١٩٧)، وفوات الوفيات للكتبي (٤/ ١٨٤)، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي (٣/ ٤٢٧)، وثمرات الأوراق للحموي (١/ ٧٠).

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣/ ٢٢٥).

(٢) **جاء في وصف (قُرطبة):** «هي أكثرُ بلاد الأندلس كتبـًا، وأشدُّ الناس اعتناءً بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيُّن والرياسة، حتىٰ إن الرئيسَ منهم الذي لا تكون عنده معرفةٌ يحتفل في أن تكون في بيته خزانةُ كتبٍ، وينتخب فيها، ليس إلاّ لِأَنْ يقال: فلانٌ عنده خزانةُ كتبٍ، والكتابُ الفلانيُّ ليس هو عند أحدٍ غيره، والكتابُ الذي هو بخط فلانٍ قد حصَّله وظفِر به! ....

قال ابنُ سعيد: وجرتْ مناظرةٌ بين يديْ منصور بن عبد المؤمن بين الفقيه العالم أبي الوليد بن رُشد والرئيس أبي بكر بن زَهْر، فقال ابنُ رشد لابن زَهْرٍ في كلامه: ما أدري ما تقول، غير أنّه إذا مات عالمٌ بإشبيلية فأُريد بَيعُ كتبه حُملتْ إلىٰ قرطبة حتىٰ

=

كتابٍ كان لي بطلبه اعتناءٌ، إلىٰ أنْ وقع، وهو بخطٍّ جيّدٍ، وتسفيرٍ[(١)] مليحٍ، ففرحتُ به أشدَّ الفرح، فجعلتُ أزيد في ثمنه، فيرجع إليّ المنادي بالزيادة عليّ، إلىٰ أن بلغ فوقَ حدّه، فقلتُ له: يا هذا، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتىٰ بلّغه إلىٰ ما لا يُساوي؟! قال: فأراني شخصًا عليه لباسُ رياسةٍ، فدنوتُ منه، وقلتُ له: أعزّ اللهُ سيّدَنا الفقيه، إن كان لك غَرَضٌ في هذا الكتاب تركتُه لك؛ فقد بلغتْ به الزيادةُ بيننا فوقَ حدّه؛ قال: فقال لي: لستُ بفقيهٍ، ولا أدري ما فيه، ولكنّي أقمتُ خِزانَةَ كتبٍ[(٢)]، واحتفلتُ فيها؛ لأتجمّل بها بين أعيان

=

تُباع فيها، وإذا مات مُطربٌ بقرطبة فأُريد بَيعُ تركته حُملتْ إلىٰ إشبيلية !!» . نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (١/ ٤٦٢).

(١) **التسْفيرُ**: هو التجليد. انظر تكملة المعاجم العربية: لدُوزي (٦/ ٨٣).

(٢) **الخِزانَة**: بكَسْر الخاء، الموضع الذي يُخْزَنُ فيه الشيءُ من المتاع والذهب والكتب ونحوها. انظر: العين (٤/ ٢٠٩)، وتهذيب اللغة (٧/ ٩٦)، والمعجم الوسيط (١/ ٢٣٣).

❁ **ومِن لطائفِ** المفتي أبي السُّعود، أنه سُئل عن الخِزانة والقَصْعة أيُقرآن بالفتْح أو بالكَسْر؟ فأجاب بقوله: لا تَفتحِ الخِزانةَ! ولا تَكْسِرِ القَصْعَةَ! ردّ المحتار علىٰ الدرّ المختار: لابن عابدين (١/ ١٦). وانظر: تحفة الحبيب علىٰ شرح الخطيب: للبجيرمي (٤/ ٤٦٣)، وحاشية الجمل علىٰ شرح المنهج (٤/ ٤٩٢). ولا يخفىٰ ما في جوابه من اللَّطافة.

❁ **ومِن هذه الضوابط اللُّغويّة المُستَلْطَفة أيضًا**: ما ذكره المُحبِّيُّ في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٢/ ٥٤) عن الشيخ بدر الدين البُورِيني الشافعي، قال: «لطائفُه كثيرةٌ، فمن ذلك ما رأيتُه بخطِّه أنه سُئل عن الحِبّ (وِعاء الماء) هل هو

=

=

بالكَسْر أو بالضمّ؟ فقال: هو بالكسر، ويُستحسَنُ فيه الضَّمُّ (يعني: الحُبّ)! وعن الجَفْن أهو بالكَسْر أو بالفتح؟ فقال: هو بالفتح، ويُستحسنُ فيه الكَسْرُ!

وهذان الجوابان شبيهان بجواب الزمخشري وقد سُئل عن العِثْيَر (الغُبَار) أهو بالفتح أو بالكَسْر؟ فقال: بالكَسْر، ولا تُفتحُ فيه العَيْنُ! (يعني: العَيْنَ الباصِرةَ؛ لئلّا يدخلها الغُبارُ)».

قلتُ: أمّا انكسارُ الجَفْن في كلام البُورِيني السابق فهي صفةٌ جميلةٌ في المحبوب! ولذا أكثر منها الشعراء، **فمن ذلك قولُ ابنِ القيسراني:**

رَنَا بطرفٍ مريضِ الجَفْن مُنكسِرٍ ... فمَنْ رأىٰ جُؤْذَراً يلهو بآسادِ

جَفْنٌ روىٰ عنه ما يَرويه من سقمٍ ... جسمي، فصحَّ به نقلي وإسنادِي

معجم الأدباء: للحموي (٦/ ٢٦٥٩).

وقال أبو الحسين الجزَّار:

إني لأعجبُ من جَفْنٍ تُديرُ به ... علىٰ نَداماكَ خمراً وهو مُنكَسِرُ!

فوات الوفيات: للكُتبي (٤/ ٢٩١).

❁ **ومثلُ ما تقدّمَ قولُهم:** لا تُحرِّكِ الإبْطَ فيَفُوح! ولا تَفتحِ الجِرابَ! ولا تَمُدَّ القَفَا! ولا تكْسِر «الصَّحَاحَ»! (كتاب الجوهري)، وإذا دخلتَ مكةَ فافتحْ: (طَوَىٰ) وإذا خرجتَ فضُمَّ: (طُوَىٰ)! و(الجنازة) بفتح الجيم وكسرها، فالأَعلىٰ للأَعلىٰ (يعني: الميّت)، والأَسفلُ للأَسفل (يعني: النَّعْش)! و(مَلِكٌ) بكسر اللّام في الأَرض، و(مَلَكٌ) بفتحها في السماء!

انظر: فتح المغيث: للسخاوي (٣/ ٤٣).

قلتُ: أمّا بالنسبة لكتاب «الصَّحَاح» للجوهري، فقد جاء في كتاب «الإفادات والإنشادات»: للشاطبي (ص/ ١٤١)، قال: «سألني الشيخُ القاضي أبو عبد الله المقّري عن اسم كتاب الجوهري، فقلتُ له: مِن الناس مَن يقول له: الصِّحاح بالكسر، ومنهم من يَفتح.

=

البلد! وبقي فيها موضعٌ يسع هذا الكتاب، فلمّا رأيتُه حسنَ الخطّ، جيّدَ التجليد استحسنتُه، ولم أبالِ بما أزيد فيه! والحمد لله علىٰ ما أنعم به من الرزق، فهو كثيرٌ!

قال الحضرميُّ: فأحْرَجَني، وحَمَلَني علىٰ أنْ قلتُ له: نعم، لا يكون الرزقُ كثيراً إلاّ عندَ مِثلك! يُعطَىٰ الجوزُ من لّا عنده أسنانٌ! وأنا الذي أعلمُ ما في هذا الكتاب، وأطلبُ الانتفاعَ به، يكونُ الرزقُ عندي قليلاً! وتَحُولُ قلّةُ ما بيدي بيني وبينه» !! [(١)] .

= فقال: إنما هو بالفتح بمعنىٰ الصحيح، كما ذكره في باب: صحَّح، ويُحتمل أن يكون مصدر صَحَّ كحِبَّان». وانظر الصحاح (١/ ٣٨١).

- وسُئِلَ بعضُ أئمة اللغة عن الفَرْق بين الماتِح والمائِح (ويُقال له: المايح أيضاً، وهو المرادُ هنا)، فقال: اعتبرْ نُقطتيْ الإعجام، فالأعلىٰ للأعلىٰ، والأدنىٰ للأدنىٰ!

والماتِحُ: هو الذىٰ يَستقي الماءَ من البئر وهو علىٰ رأسها .

والمائِحُ (المايح): هو الذي نزل البئرَ إذا قلَّ ماؤُها ، فيَملأُ الدِّلاءَ . انظر شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد (٦/ ٢٧١).

(١) كلامُ الحضرميِّ هذا فيه نوعُ اعتراضٍ علىٰ القضاء ! سامحه اللهُ وعفا عنه بمنّه وكرمه.

هذه أيها الإخوة إلماحةٌ سريعةٌ لحال **أسواق الكتب** في تلك الأزمنةِ والعُصُر الخوالي، حينما كان أهلُها يهتمّون بالعلم، ويُوْلُونه أعظمَ العناية.

أما الأهدافُ التي أرمي إلىٰ ذكرها - إن شاء الله تعالىٰ - في هذه المحاضرة عن أسواق الكتب **(معارض الكتب)** في هذه الأزمنة، فهي كثيرة، وقد قسّمتُها إلىٰ ثلاثة أقسام، وجعلتُ كلَّ قسمٍ في فصلٍ مستقلٍّ، **وهي كالتالي**:

الفصل الأول: الأهداف العامّة.

الفصل الثاني: الأهداف الخاصّة.

الفصل الثالث: مُقترحاتٌ وتحذيراتٌ.



الفصل الأول

الأهــدافُ العـامــةُ





الـفـصـل الأول
الأهـداف الـعـامـة



أما الأهداف العامة الكبرىٰ فهي:

١ - الإسهام الفاعل البنّاء في تنشيط الحركة الثقافية في البلد:

وهذا أمرٌ واضحٌ؛ فما أَنْ يُقامَ معرضٌ للكتاب، إلا وتجد الناس يأتون إليه من كل حدبٍ وصوبٍ، من المدينة نفسها ومن خارج المدينة، بل ربما يُرحَل إليه من دولٍ أخرىٰ، كما هو الحالُ في المعارض الدوليّة علىٰ سبيل المثال.

كذلك فإنه قد يُصاحب تلك المعارض انعقادُ فعاليّاتٍ ثقافيّةٍ، مِن: محاضراتٍ، وندواتٍ، ومسابقاتٍ، وقراءاتٍ نقديّةٍ للكتب، وحواراتٍ، ومجالسَ شعريّةٍ، وغيرِ ذلك. وهذه كلها من الأهداف العظيمة لهذه المعارض.

وهذا الأمرُ ممّا يُحفِّز القنوات الإعلامية بجميع أنواعها: الإذاعة، والتلفزة، والصحافة، والإعلام الجديد (التّويتر، والفيسْ بُوك، وأشباهها)، علىٰ متابعة الحَدَث، ورصد كافّة نشاطاته.

٢ - تشجيعُ المجتمع بجميع فئاته ومستوياته علىٰ القراءة وحبّ الكتاب:

إن كثيراً من الناس تبدأ صلتُهم بالكتاب عن طريق معرض الكتاب؛ لذا فإنه ينبغي اصطحابُ جميع الفِئات العُمْرية إلىٰ المعرض، حتىٰ الأطفال الصِّغار؛ فإن هذا سيُبقِي أثرًا في ذهن ذلك الطفل، حينما يشاهد هذا الكمّ الهائل من الكتب بأنواعها وألوانها، مما يُحدِث في نفسه أثراً محموداً، ربما يبقىٰ هذا الأثرُ طيلةَ حياته، ويكون بعد ذلك من عشّاق الكتب وروّاد المعارض.

كذلك فإنّ في المعارض إعادة ردٍّ اعتبارٍ للكتاب بنوعيْه: الورقي، والإلكتروني، لاسيما أنّ الكتاب قد زُوحم في هذا الزمان مزاحمةً شديدة من الوسائل الكثيرة التي وُجدتْ في هذا العصر، والتي تُعنَىٰ بنقل المعلومات: كالقنوات الفضائية، والانترنت، والواتسْ أبْ، والفيسْ بُوك، وتويتر، وغيرِها.

ولذا فقد أحسنتْ صُنعًا كثيرٌ من المتاجر الإلكترونية بإنزالها الكتب في مواقعها، وهذا الصنيعُ قدّم خدمةً عظيمةً للمُولَعين بمثل هذه الوسائل العصريّة [١].

---

(١) **لطيفةٌ:** قال أبو الطيّب المتنبّئ قديمـًا:

أعـزُّ مكـانٍ في الـدُّنا: سَـرجُ سـابحٍ ... وخيـرُ جلـيسٍ في الزمـان: كتـابُ

ومرادُه بالشطر الأول: أنّ أرفعَ وأمنعَ مكانٍ في الدنيا هو: ظهرُ الجَواد السريع.

=

٣ – توفيرُ الكتاب لكلِّ شرائح المجتمع، وَفْقَ متطلّبات الناس، ورغباتهم، وتخصّصاتهم المختلفة:

كلُّ هذا تحت سقفٍ واحدٍ، وفي وقتٍ واحدٍ. ولقد أصاب الكاتبُ المصريُّ عباس محمود العقّاد حينما قال: (الكتبُ طعامُ الفِكر) ! فكلٌّ واحدٍ له طعامٌ يناسبه.

ولهذا يجد الناسُ في معارض الكتب كلَّ ما يريدون، حتىٰ النساءُ والأطفالُ؛ فهناك مكتباتٌ متخصّصةٌ في كتب الأطفال وقصصهم وألعابهم وما يُسمّىٰ ألعاب الذكاء ونحو ذلك، وهناك كتبٌ كثيرةٌ تخصّ النساء أيضًا.

بل وتلبّي المعارضُ رغباتِ أصحابِ الهواياتِ النادرةِ، مثل الذين يُولعون بجمع الكتب النادرة، أو الصحف والمجلّات القديمة، أو الكتب المتخصّصة في لونٍ معيّنٍ من المعرفة: مثل تاريخ الجزيرة العربية، أو تاريخ المدينة المنورة، أو كتب الإعجاز العلمي، أو الكتب المترجَمة، أو الروايات، أو القَصَص، أو الدواوين الشعرية، أو حتىٰ المطويّات والمنشورات ... إلخ.

فهذه المعارضُ تلبِّي أذواقَ الجميع.

=

قلتُ: لكن تغيّر الحالُ في هذا الزمان، فأصبح أعزُّ مكانٍ هو: متنُ الطائرات الحربية النفّاثة! وصار خيرُ جليسٍ – عند أكثر الناس صغاراً وكباراً – ما يُسمّىٰ: بـ(الهاتف اللَّوْحي)، أو (اللَّوْح الكَفِّي) بأنواعه وأحجامه المختلفة!

وعليه فقد قلتُ تصحيحًا لبيت المتنبّئ؛ بناءً علىٰ واقع الحال:

أعزُّ مكانٍ متنُ (نفَّاثَةٍ) سَمَتْ وخيُر جليسٍ (لَوحُ كَفٍّ) مُطوَّرُ !

٤ - رفعُ قيمة العلم والثقافة في المجتمع:

وذلـك لكثـرة المعـارض المزاحمـة طيلـةَ العـام، كمعـارض السـيارات، والمـواد الاسـتهلاكية، والملابـس، والأُسَـر الـمُنتِجَة، والصـناعات، والعقـارات، والمسـتلزمات الطبيّـة .... وغيـر ذلـك، فيأتي الكتابُ ومعـارضُ الكتـب لتكـون بلسـمًا للعقـول والأرواح في وسط هذا الخِضَمّ الصاخب من المعروضات!

٥ - تبـادل المعـارف والخبـرات بـين دور النشـر والمكتبـات والمؤسسات الثقافية المختلفة المشاركة في المعرض:

بل وتبادل الإصدارات والمطبوعـات، فكـم رأينـا مـن مكتبـاتٍ تبيع كتبـًا كثيـرةً، وبكميـاتٍ كبيـرةٍ، علىٰ مكتبـاتٍ أخـرىٰ مشـاركةٍ في المعرض.

كمـا رأينـا بعضَ المكتبـات تشـتري الكميـات المتبقيـة لـبعض الدور، فيعود إلىٰ بلده وقد حقّقَ مكاسبَ عظيمةً .

فهـي فرصـةٌ للطـرفين، لاسـيما لتلـك المكتبـات التـي تـأتي مـن أقصىٰ الأرض؛ إذ قد لا تلتقي تلك الدور إلا في معارض الكتب.

٦ - أنه فرصةٌ عظيمةٌ لتعريف الجامعات، والمؤسسات الثقافية، والجمعيات الخيرية، والجهات الحكومية، المشاركة في المعرض بنفسِها ومنجزاتِها:

وهذا أمر مشاهَدٌ وواضحٌ، وهي فرصةٌ ذهبيةٌ لهذه الجهات وأشباهها، ولهذا تراهم يوزّعون منشوراتِهم وكتبَهم بالمجّان.

٧ - تشجيعُ حركة النشر في البلاد العربية والإسلامية:

مقارنةً بدول أمريكا ودول الغرب واليابان، نجد هناك بونًا شاسعًا في أعداد الكتب التي تُطبَع سنويًا في الدول العربية والإسلامية وتلك الدول.

ففي إحصائيّة منظمة اليونسكو لعام (٢٠١١ م) ذكروا أن ما طُبع في بريطانيا وحدها في ذلك العام بلغ (٢٠٦) ألف عنوان، بينما لم يُطبعْ في مصر - التي هي أكثرُ البلاد العربية طباعةً للكتب، ومعرضُها للكتاب أكبرُ المعارض العربية على الإطلاق - إلا (٩ آلاف) عنوان !!

فانظر إلى الفرق الهائل بين العددين، علمًا بأن مصر تَطبع للعالم العربي كلِّه وليس لها وحدها ! كما لا تنسَ أيضًا أن عدد سكان بريطانيا نحو (٦٠) مليون وعدد سكان مصر وحدها أكثر من (٩٠) مليون !

كمـا جـاء في بعـض الإحصـائيات أن جميـعَ مـا يُطبَـع في دول العالم العربي مجتمعةً لا يزيد عن (٢٠) ألف عنوان في السنة ! بينمـا هنـاك ملايـين العنـاوين التـي تُطبـع سـنويّـًا في بـلاد أوربّـا وأمريكـا واليابان !

وفي إحصـائيّة أخـرىٰ ذكـرتْ أن الأمـريكيّين يُنفقـون أكثـر مـن (٦٥) مليـون دولار يوميّـًا علـىٰ شـراء الكتـب ! بمعـدل نحـو سـتة ملايين كتاب يوميّـًا !![١] .

ولهذا: جاء في تقرير التنمية البشـرية أن الإنتـاج الفكـري للعـالم العربـي علـىٰ مسـتوىٰ العـالم لا يمثـل إلا أقـلّ مـن (١٪) !! وبقيـة الإنتاج الفكري تتقاسمه الدول الأخـرىٰ، وهـذا لا شـكّ يُعتـبر أزمـةً ثقافيةً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنىً[٢] .

---

(١) قصص وحكايات من العالم إعداد منير وجوزيف عبّود (ص/ ٧١).

(٢) **هـذه المعلومـات** التـي في الفقـرة السـابعة اسـتفدتُ معظمَهـا مـن مقالـةٍ مطوَّلـةٍ للدكتور/ غانم علوان الجميلي، مرفوعةٍ علىٰ الشنكبوتيّة.

ومما جاء في تلك المقالة أيضـًا قولُه: «مدارسُنا وجامعاتُنا لا تُخـرّج مثقَّفين، نحـن نعـاني من الأميّة المقنّعة؛ لأن مدارسنا تخرّج طلابـًا وتمنحهم الشـهادات؛ لسببٍ واحـدٍ، وهو أنهم قضوْا عدداً معينـًا من الأيام علىٰ مقاعد الدراسة، وقاموا بحفظ العديـد مـن النصوص التي مكّنتهم من تجاوز الاختبارات التي تعتمد علىٰ الحفظ، لكن النتيجة أن الخرّيج هو أميٌّ يحمل ورقةً تسمىٰ الشهادة !

والدليل علىٰ ذلك سهلٌ بسيطٌ؛ حيث إنني أثنـاء سـنوات وجـودي في أمريكـا لاحظـتُ أعداداً كبيرةً من طلبة الجامعات ينتهزون فرصة الفراغ لكي يفتحوا كتبـًا يقـرأون فيهـا سواءً كـانوا في المقـاهي، أو القطـارات، أو السيارات، وفي الأمـاكن العامـة. لكنـي لا

=

ولهـذا فـإن مـن فوائـد هـذه المعـارض تنشـيط حركـة النشـر والقراءة في البلدان العربية والإسلامية.

٨ - بثُّ روح التنافس بين دور النشر المشاركة:

وهذا له فوائدُ جمّةٌ، منها:

أولاً: العناية بإخراج الكتاب وجودة الطباعة، وإتقان التحقيق لما يحتاج إلىٰ تحقيق من كتب التراث ونحوها.

وهذا أمرٌ مشاهَدٌ، حيث نجد طبعاتٍ مختلفةً للكتاب الواحد، كلُّ دار نشرٍ تحاول أن تكون نشْرتَها هي الأفضلُ والأجودُ.

ثانيًا: تخفيض أسعار الكتب؛ لكسب أكبر عددٍ من المشترين.

ثالثًا: التسابق إلىٰ استقطاب المؤلّفين والمحقّقين الجادّين، والعناوين الجيدة.

= أرىٰ في عالمنا العربي أحداً يمسك بكتابٍ يقرأه، حتىٰ في المطارات التي نقضي فيها الساعات الطوال بسبب تأخّر الرحلات؛ وذلك لأننا لا نحترم الوقت !

وهذه وإن كانت مشاهَدةً فرديةً، ولكنها مؤيَّدة بنتائج الدراسات العلمية التي تقول بأن المواطن العربي يقرأ ما معدّله بضع دقائق في اليوم، مقارنةً بعددٍ من الساعات في الأمم الأخرىٰ.....

إن مدرسة «النجاة» الأهلية في مدينة «الزُّبير» لم تكن بنايةً حديثةً مزودةً بالوسائل التعليمية، بل كانت عبارةً عن بيتٍ من الطين، لكنها خرّجت العديدَ من العمالقة في مجالات الأدب والسياسة والاقتصاد في الجزيرة العربية ! فأين نتاجُ مدارسنا الحديثة من مدرسة النجاة ؟».

٩ - تزويد المكتبات العامّة بالجديد دائمًا:

مثـل مكتبـات الجامعـات، ومراكـز البحـوث، والمكتبـات الحكومية العامّة، ومكتبات المدارس، وغيرِها.

حيـثُ تَعمَـدُ تلـك الجهـاتُ إلـىٰ الشـراء أو الاسـتهداء مـن المكتبات المشاركة في المعارض؛ لتزويد مكتباتِها بالجديـد. وهـذه من ثمرات تلك المعارض.

١٠ - إقامة المعارض تُشجّع علىٰ البحث العلمي وتطوّره:

وذلك من عدة أوجهٍ:

أولًا: اطّلاع البـاحثين علىٰ الإصـدارات الجديـدة يولّـد لـديهم الشـعورَ بالمنافسـة، كمـا يولِّـد لـديهم أفكـارًا جديـدةً. لـذا تجـد أصـحاب الهمـم مـنهم تتشـوَّف نفوسـهم للإتيـان بمـا هـو أفضـل وأحسن.

ثانيـًا: تزويـد البـاحثين بالجديـد في حقـول تخصصـاتهم المختلفة، ومعلومٌ أن تـوفُّر الكتـاب في كـل وقـتٍ وبلـدٍ لـيس بـالأمر السهل، ولذا فإن هـذه المعـارض تـأتي إليـك بالكتـاب إلـىٰ مكانـك، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ.

ثالثًا: تُجنِّبُ المعارِضُ الباحثينَ عناءَ التكرار لمسائلَ قد بُحثتْ من قبل، فإذا وجد الباحث هذه المسائل قد طُرقتْ، فإنه سيبحث عن مسائل أخرىٰ لبحثها؛ وبالتالي نسلم من التكرار، وضياع الجهود والأوقات.

وهنا نقطةٌ مهمةٌ أحبّ أن أنبّه الباحثين وطلابَ العلم إليها، ألا وهي أن القراءة للبحث والكتابة هي أعلىٰ مستويات القراءة.

فكما أن هناك قراءةَ تأصيل، وقراءةَ جردٍ، وقراءةَ اطلاعٍ، وقراءةَ استمتاعٍ، وقراءةَ نقدٍ، فهناك أيضًا قراءةُ بحثٍ.

وقراءةُ البحث هي أعلىٰ أنواع القراءة وأنضجُها وأدقُّها؛ لأنّ الباحث يطّلع علىٰ عشرات - وربما مئات - المصادر والمراجع في المسألة الواحدة، ثم يختزل خلاصتَها في صفحاتٍ قليلةٍ، وهذا لا شكّ أنه عملٌ دقيقٌ وشاقٌّ.

ولهذا ذكر الوزيرُ ابنُ هُبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ - كما في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٦) - ثلاثةَ أضربٍ لتحصيل العلم، منها: التصنيفُ، فقال: «يُحَصَّلُ العلمُ بثلاثة أشياء:

أحدها: العملُ به؛ فإن من كلَّف نفسه التكلّم بالعربية دعاه ذلك إلىٰ حفظ النحو، ومن سأل عن المشكلات ليعمل فيها بمقتضىٰ الشرع، تعلَّمَ.

والثاني: التعليمُ؛ فإنه إذا علَّم الناس كان أدْعىٰ إلىٰ تعليمه.

والثالث: التصنيفُ؛ فإنه يُخرجه إلىٰ البحث، ولا يتمكّن من التصنيف مَن لم يُدركْ غَوْرَ ذلك العلم الذي صنَّف فيه».

ولهذا: يقول الحافظُ العراقيُّ في ألفية علوم الحديث «التبصرة والتذكرة»[1]:

....	.... وبـــــادرِ
إذا تأهَّلْتَ إلىٰ التأليفِ	تَمْهَرْ وتُذكَرْ، وهْو في التصنيفِ

١١ - التعرُّفُ علىٰ دور نشرٍ ومكتباتٍ جديدةٍ من بقاعٍ ودولٍ شتىٰ:

ففي كل عامٍ - في الغالب - تشارك دورٌ ومكتباتٌ جديدةٌ لم تشاركْ من قبلُ.

ولهذا لما سألتُ طلابَ الجامعة الإسلامية - خاصةً المستجدِّين منهم - عن شعورهم وهم يَروْن معرضَ الكتاب، كان شعورُهم الانبهارَ والإعجابَ؛ حيث يشاهدون هذه المكتبات تأتي من أماكن شتىٰ، ومن بلاد بعيدة، كما يشاهدون هذا الكمَّ الهائلَ من الكتب، الذي كان مبعث سرورٍ لهم، خصوصًا تلك المكتبات المتخصِّصة التي تُعنَىٰ بلونٍ واحدٍ من العلم.

(١) (ص/ ١٥٨) البيت رقم (٧٣١ و ٧٣٢).

١٢ - الصلة المباشرة بين المؤلف والمستفيد عن طريق ركن التوقيع:

هناك بعضُ المكتبات الكبرىٰ تضع مكانًا مخصّصًا لكبار المؤلفين، وعندما يشتري القارئُ كتابًا يمهر المؤلفُ كتابَه ذلك بتوقيعه !

فهذا يشجّع القارئ، ويمنحه دافعًا لقراءة الكتاب، والاهتمام به؛ لأنه قد امتلك نسخةً بتوقيع المؤلف.

١٣ - إقامة المسابقات الثقافية والأدبية المختلفة في بعض المعارض ضمن الفعاليات الثقافية المصاحبة:

وغالبًا ما تكون هناك جوائزُ قيّمةٌ للفائزين، تدفعها الجهةُ المنظّمةُ، أو الرُّعاةُ الداعمون للمعرض.

وهذا لا شكّ أنه يُمثّل حافزاً قويًا للمبدعين؛ للمشاركة، وزيارة المعرض، والاستفادة منه.

١٤ - توفُّرُ الكتب المترجمَة بمختلف اللغات:

لا سيما في المعارض الدولية، فكُلٌّ يجد بغيته فيها من جميع الأجناس، وبجميع اللغات المشهورة المتداولة.

وهذه نعمةٌ عظيمةٌ، لاسيما علىٰ الأفراد والأقليات الإسلامية التي تتحدث لغاتٍ محدودةَ الشهرة والتداول.

١٥ - التعـرّفُ علىٰ ثقافـات الـدول والشعـوب والأمـم الأخـرىٰ، وتلاقح الأفكار، وتبادل المعارف بين علمائها ومفكِّريها:

وهـذا يتجلّـىٰ في المعـارض الدوليّـة، أكثـر مـن المعـارض المحليّة.

كما يتجلّىٰ أيضًا عندما تُستضاف دولةٌ كضيف شرفٍ، وهذا لا يحصل غالبًا إلا في المعارض الدولية.

وهـو مكسـبٌ لـذلك المعـرض وللجهـة المنظّمـة، لا سـيما إذا كانت تلك الدولة لها ثِقَلُها العلمي، أو السياسي، أو الاقتصادي.

وهذه قائمةٌ بأشهر معارض الكتبُ الدولية، مرتَّبةٌ حسَبَ تـاريخ إقامتها بالتاريخ الميلادي:

م	اسـم الـمـعـرض	الـتـاريخ بالـمـيـلادي
1	معرض القاهرة الدولي للكتاب	28/1-12/2
2	معرض الدار البيضاء الدولي للكتاب	12-22/2
3	معرض نيودلهي الدولي للكتاب	14-22/2
4	معرض مسقط الدولي للكتاب	25/2-7/3
5	معرض الرياض الدولي للكتاب	14 - 24 /3
6	معرض تونس الدولي للكتاب	27/3-5/4
7	معرض ماليزيا الدولي للكتاب	25/4-5/5

م	اسم المعرض	التاريخ بالميلادي
8	معرض جنيف الدولي للكتاب	29/4-3/5
9	معرض أبو ظبي الدولي للكتاب	7-13/5
10	معرض أمريكا الدولي للكتاب	27-29/5
11	معرض سيئول الدولي للكتاب	17-21/6
12	معرض الثقافة الدولي للكتاب في الصين	26-30/8
13	معرض صنعاء الدولي للكتاب	شهر سبتمبر
14	معرض موسكو الدولي للكتاب	شهر سبتمبر
15	معرض مدريد الدولي للكتاب	23-25/9
16	معرض فرانكفورت الدولي للكتاب	14-18/10
17	المعرض الدولي للكتاب بالجزائر	30/10-8/11
18	معرض اسطنبول الدولي للكتاب	شهر نوفمبر
19	معرض الشارقة الدولي للكتاب	4-14/11
20	معرض فيينا الدولي للكتاب	11-15/11
21	معرض الكويت للكتاب العربي	19-29/11
22	معرض بيروت العربي للكتاب	شهر ديسمبر
23	معرض الدوحة الدولي للكتاب	2-12/12
24	معرض جدة الدولي للكتاب	14 - 24 /12

وهذه المعارضُ لها مواعيدُ ثابتةٌ طيلةَ السنة، فبإمكان المهتمّ أن يتابعها عن طريق (الانترنت)؛ ليقوم بزيارتها والاستفادة منها .

لكن لابدّ أن يُعلمَ أن بعض هذه المعارض - لاسيما التي تقام في البلاد الأجنبية - هي معارض لعرض الكتب فقط، وليس فيها بيعٌ !!

وقد زُرتُ بعضَها وفُوجِئتُ بذلك.

١٦ - أنّ هذه المعارض فرصةٌ عظيمةٌ للتعرّف علىٰ الإصدارات الجديدة في جميع الفنون، ومتابعة الجديد أولًا بأول:

ولهذا؛ تَشترط بعضُ الجهات المنظّمة لمعارض الكتب ألا تقلّ الإصدارات الجديدة لدور النشر المشاركة والمكتبات عن نصف المعروض.

وبعضُ الجهات ترصد أهمَّ الإصدارات في كل عام، وترصد الكتب الأشهر والأكثر مبيعًا .

١٧ - المردودُ المعنويُّ والماديُّ الحاصلُ للجهات المنظِّمة، والداعمة، والراعية، والمنفّذة، والناشرين المشاركين، والمكتبات، ودور العرض:

فهذه المعارض تجلب دعايةً واسعةً، وسمعةً ممتازةً للجهات المنظِّمة - سواءً في الداخل أو الخارج - نظيرَ إقامتها تلك المعارض.

وعلىٰ قَدْر حُسْن التنظيم، وجَودة العَرض، واختيار المكان المناسب للمعرض، والفعاليات الثقافية المصاحبة له، والدعاية المعرِّفة به، تكون شهرةُ المعرض، وبُعْدُ صِيتِه.

كما أن هذه المعارض تُدِرّ ربحًا جيّداً للجهات المنظِّمة والراعية لها [(١)]، مما يساهم في استمرار إقامة المعارض بصفةٍ

(١) فمثلاً:

- سعر المتر المربع الواحد في معرض البحرين الدولي للكتاب (٩٠) دولاراً.
- وسعر المتر المربع الواحد في معرض مسقط الدولي للكتاب (١٠٠) دولار.
- وسعر المتر المربع الواحد في معرض الرياض الدولي للكتاب (٢٠٠) دولار.

ومثله معرض جدّة الدولي للكتاب، ومعرض تونس الدولي للكتاب.

- وسعر المتر المربع الواحد في معرض الدار البيضاء الدولي للكتاب (٢٢٠) دولاراً.
- وسعر المتر المربع الواحد في معرض أبو ظبي الدولي للكتاب (٢٥٠) دولاراً.

ومثله معرض بيروت العربي للكتاب، ومعرض نيودلهي الدولي للكتاب.

- وسعر المتر المربع الواحد في معرض الثقافة الدولي للكتاب في الصين (٣٠٠) دولار.
- وسعر المتر المربع الواحد في معرض سيئول الدولي للكتاب (٤٠٠) دولار، عِلْماً بأن عدد أيام المعرض أربعة أيام فقط !

ومثله معرض موسكو الدولي للكتاب.

- وسعر الـ(١٠م٢) في معرض القاهرة الدولي للكتاب (١٥٠٠) دولار.

=

دائمةٍ، وربما شجّع علىٰ إقامة معارض أخرىٰ، وساهم في طباعة كتبٍ جديدةٍ.

هذا بإيجازٍ بعضُ الأهداف العامّة.

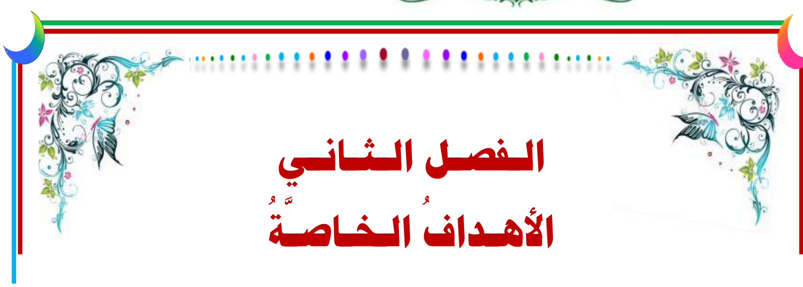
=

- وسعر المتر المربع الواحد في معرض جنيف الدولي للكتاب والصحافة (٤٦٦) فرانكًا سويسريًا.
- ولعلّ أعلاها سعراً علىٰ الإطلاق هو معرض فرانكفورت الدولي للكتاب في جمهورية ألمانيا الاتحادية، حيث يبلغ سعرُ المتر المربع الواحد فيه (٥٥٠) يورو !!

وهذه - كما ترىٰ - أسعارٌ متفاوتةٌ، لكنها مرتفعةٌ في الجملة، فليتها تُخفَّضُ ويُقتصَرُ منها علىٰ شيءٍ رمزيٍّ؛ دعمًا للكتاب، وتشجيعًا للقرّاء وأصحاب دُور النشر والمكتبات.

الفصلُ الثاني

الأهدافُ الخاصّةُ



الـفـصـل الـثـانـي
الأهـدافُ الـخـاصَّـةُ

أما الأهدافُ الخاصةُ - وهي الأمورُ الجزئيّةُ، أو التي تَخصّ طائفةً من الناس - فإليك بعضَها:

١ - تشجيع طلّاب العلم خاصةً علىٰ القراءة في غير المقرّرات الدراسيّة:

وهذا لا شكّ أنه مطلبٌ جليلٌ؛ إذ فيه دعمٌ للثقافة والقراءة والاطلاع لدىٰ طلاب العلم - وخاصةً طلاب الجامعات - لأن كثيراً من الناس ينتقد مُخرجات التعليم الجامعي، فيقول: الجامعاتُ لا تُخرِّج إلا أميّين وإن كان معهم شهادات !! لأنه لا يقرأ إلا مذكِّرات الجامعة من أجل الاختبار - غالباً - ثم يخرج من الجامعة كما دخل !

وهذا في الحقيقة سلبيةٌ عظيمةٌ في التعليم الجامعي في معظم الدول العربية والإسلامية؛ فينبغي أن نُرسّخ مبدأَ القراءة في غير المقررات الدراسية، ونشجّع الطلاب علىٰ هذا الأمر؛ لننتشلهم من الأميّة الثقافيّة.

٢- استهدافُ شريحةِ الأطفال بنصيبٍ وافرٍ في هـذه المعـارض، ممـا له أكبرُ الأثر في بنائهم الثقافيّ والمعرفيّ:

لا يكـاد يوجـد معـرضٌ للكتـاب إلا ويوجـد في مكتبـاتٌ متخصّصـة في ثقافـة الطفـل. بـل شـاهدْنا في بعـض معـارض الكتـب الدوليـة صـالاتٍ كاملـةً مخصصـةً للأطفـال، يُبـاع فيهـا مـا يُسـمّىٰ بالألعاب الذكيّة، والقَصَص، والدواوين الشعرية، والكتب الثقافيـة المختلفة المناسبة لهم.

كما لا ننسىٰ المعرض الـدولي لكتـب الأطفـال الـذي يُقـام كـلَّ عام في جمهورية مصر العربية.

وهذا لا شكّ أنّ فيه ارتقاءً عظيمـًا بالمستوىٰ العلمي والثقـافي لأطفالِ اليومِ، رجالِ المستقبلِ.

٣ - تعريفُ الناسِ بالمؤلِّفين:

فإنّ أكثرَ المؤلفين لا يعرفهم القُرَّاءُ شخصيّـًا - حتىٰ ولـو كـانوا من المشاهير - إلا من خلال كتبهم.

ولهذا تعمد بعضُ الـدُّور - كمـا أسـلفنا - إلـىٰ تخصـيص ركـنٍ لهـؤلاء المـؤلفين؛ للتوقيـع علـىٰ مؤلفـاتهم، وهـذا مـن فوائـد هـذه المعارض.

٤ - تُشجِّع معارضُ الكتب جمهورَ الناس علىٰ تأسيس المكتبات المنزليّة:

المكتباتُ المنزليةُ مهمةٌ جدًا لأفراد الأسرة كلهم، فينبغي أن يكون في كل بيتٍ مكتبةٌ خاصةٌ تضمّ كتبًا متنوعةً، تلبّي تطلّعات واهتمامات جميع أفراد الأسرة، صغيرِهم وكبيرِهم، رجالِهم ونسائِهم، بحيث يُرجَع إليها، ويُقرأ فيها كلَّ وقتٍ.

وهذه المكتبة تحتاج إلىٰ تأمّلٍ في اختيار الكتب؛ حتىٰ لا تُملأ بالغثِّ غيرِ المفيدِ، فينبغي أن يُتَخَيَّر لها الكتبُ المفيدةُ النافعةُ الجامعةُ [(١)].

---

(١) كثيرٌ من القُرَّاء - ومنهم طلّابُ علمٍ - لا يُحسن انتقاءَ الكتب، فيشتري الكثيرَ من الكتب في فنٍ واحدٍ، وبعضها يُغنِي عن بعض !

فتجدُه يشتري مثلاً عشرةَ كتبٍ في التفسير، وعشرةَ كتبٍ في أصول الفقه، وعشرةَ كتبٍ في مصطلح الحديث، وعشرةً من كتب معاجم اللغة .... وهكذا !!

وهذا خللٌ منهجيٌّ؛ بل ينبغي أن يقتصر علىٰ كتابٍ أو كتابين في كل لونٍ من ألوان المعرفة.

لكنْ إنْ كان باحثًا يحتاج إلىٰ تعدّد المصادر، وكانت لديه القدرةُ الماليةُ والمكانُ المتَّسعُ فلا بأس.

أما إن كانت قدرتُه الماليةُ ضعيفةً، أولم يكنْ هناك مكانٌ مُتّسِعٌ، فينبغي عليه حينئذٍ أن ينتقيَ؛ حتىٰ لا يملأ الأرففَ بما يغني بعضُه عن بعض.

ولهذا فإن أرسطو لما سُئِل: كيف تحكم علىٰ إنسانٍ؟ قال: أسأله كم يقرأ؟ وكيف يقرأ؟! فليست العبرة بالكمّ فقط، وإنما بالكيف أيضًا.

وهناك كثيرٌ من المكتبات المنزلية تكوّنـت بعـد الزيـارة الأولـىٰ لمعرض الكتاب، ثم ما لبثت أن تنامت وتوسّعت مع مرور الأيام.

كما أنّ المعارض تساعد أيضـًا علـىٰ تغذيـة المكتبـات المنزليـة باستمرارٍ بكلِّ جديدٍ.

٥ - معارضُ الكتـب فرصـةٌ لالتقـاء البـاحثين والمحقِّقين والعلمـاء وطلاب العلم من شتّىٰ الأصقاع:

هذا مـن أعظـم فوائـد المعـارض؛ إذ إن كثيـرًا مـن الشخصيات العلمية، من الباحثين، والمحقّقين، والكتّاب، والمثقفين، والأدباء، لا تكاد تجدهم إلا في المعارض.

فهذه المعارضُ تُعتبرُ بحقٍّ (مَصْيَدَةً) لهذه الفئـات التـي لا تكـاد تراها إلا نادرًا، وخاصةً عندما يأتي الزائرُ وافدًا مـن مدينـةٍ أخـرىٰ، أو مـن دولـةٍ أخـرىٰ، فهـذا مـن أعظـم المكاسـب لهـذه المعـارض مـن وجهة نظري.

٦ - أنها تمنح القارئَ فرصةَ الانتقاء من الكتب المتعدّدة في الموضوع الواحد، والموازَنَةَ بينها، واختيارَ الأفضل:

من مزايا معارض الكتب أنك تجد في الموضوع الواحد عشراتِ الكتب، وهذا يتيح لك فرصة الاختيار والانتقاء والموازنة؛ لاصطفاء الأمثل، والأكثر نفعاً لك. وهذا ما لا تكاد تجده في المكتبات العادية.

٧ - افتضاحُ دور النشر الفاشلة:

هناك بعضُ دور النشر - أو بالأصح النشْل ! [١] - تصدّت لطباعة الكتب، خصوصاً كتب التراث: ككتب التفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، وغيرها من كتب العلوم الإسلامية والعربية، فأخرجتْها إخراجاً سيّئاً، مليئةً بالأغلاط، والأوهام، والتصحيفات، والتحريفات، بل والزيادات أحياناً !! [٢].

(١) يتعارف الناس في هذا الزمان علىٰ أن النَّشْل هو السرقةُ علىٰ غِرّةٍ بخفّةِ يدٍ ! وهي كلمةٌ (مُحْدَثَةٌ) كما في المعجم الوسيط (٢/ ٩٢٣).

لكنّ هذا المعنىٰ له أصلٌ في اللغة، فقد جاء في لسان العرب (١١/ ٦٦١): «نَشَل الشَّيْءَ يَنْشُلُه نَشْلًا: أَسرع نَزْعَه»، وهذه صفةُ النشَّال الذي يُسرع بنزع النقود في خِفّةٍ !

(٢) مِن ذلك: أني وجدتُ في طبعة دار الكتب العلمية لكتاب (تنقيح التحقيق) لابن عبد الهادي ثلاثةً وخمسين لوحةً مُدخَلةً في الكتاب ليستْ منه، بل هي من كتابٍ آخرَ غريبٍ!!

وربما عمدتْ هذه الدُّور إلىٰ تحقيقاتِ بعض المحقّقين المشهورين فسرقتْ جهودَهم، وأخرجتْ الكتبَ التي حقّقوها ووضعتْ عليها بعضَ الأسماء الوهْميّة؛ للتمويه ! أو كتبتْ علىٰ غلاف الكتاب عبارةَ: (حقّقه نُخبةٌ من العلماء بإشراف الناشر) !! والحقُّ أنه تحكيكٌ لا تحقيقٌ !!

والأدهىٰ والأمرُّ، أن هذه الدُّورَ ما تركتْ كتابًا من كتب التراث المشهورةِ وغيرِ المشهورةِ إلا وطبعتْه !

فمِن مزايا معارض الكتب أنها تفضح هؤلاء السُّرّاق النشّالين؛ وذلك بسبب كثرة المعروض من الطبعات المتعدّدة للكتاب الواحد، فيُميِّز القارئُ الحصيفُ حينئذٍ الجيدَ من الرديء، والغثَّ من السمين، فيَسقُطُ هؤلاء الأدعياءُ علىٰ أمّ رؤسهم !! [(١)] .

وهنا لفتةٌ مهمةٌ جداً، ألا وهي أنه ينبغي للعاقل ألّا يُضيْعَ مالَه في شراء كتب التراث التي تولّتْ طباعتَها هذه الدُّورُ السيّئةُ، ولم تُحقّقْها تحقيقًا علميًا جيدًا؛ لما في ذلك من المحاذير، **منها:**

أولاً: أن هذا فيه تشجيعٌ ودعمٌ لتلك الدور، لمواصلة العبثِ بالتراث ومصادرِ العلم، وتدميرِ المكتبة الإسلامية.

---

(١) **كتبتُ** في الردّ علىٰ هؤلاء الناشرين العابثين قصيدةً حماسيّةً طويلةً بعنوان «**الرَّهْص والوَهْص**»، وهي منشورةٌ في كتابٍ بالعنوان نفسه، فانظرْها فيه إن شئتَ غيرَ مَقسُورٍ.

ثانيـًا: أنّ في هـذا تضـييعًا للوقـت والجُهـد؛ حيـثُ تكـاد تنعـدم الفائـدة مـن قـراءة هـذه الطبعـات التجاريـة؛ لمـا فيهـا مـن الأخطـاء الكثيرة والكبيرة ! ولِما ستراه فيها من العجائب والغرائب ! (١) .

ثالثًا: أن في هذا إضاعةً للمال؛ وقد نهىٰ الله تعالىٰ عن إضـاعته. فقد أخرج الإمامُ البخاريُّ في صـحيحه (٢) بسـنده عـن الشـعبي قـال: حدثني كاتبُ المغيرة بن شعبة، قـال: كتـب معاويـةُ إلـىٰ المغيـرة بـن شعبة: أن اكتبْ إليّ بشـيءٍ سـمعتَه مـن النبـي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكتـب إليه: سمعتُ النبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًـا: قِيـلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ».

وهنا نقطةٌ مهمةٌ أُحبّ أن أنبّه عليهـا، ألا وهـي أن القـارئَ ينظـر أولَ ما ينظر عند شراء الكتاب إلىٰ الـثمن، فتجـده يقـارن بـين أسـعار الطبعات؛ ليختار في النهاية الأقـلَّ ثمنـًا، وهـذا لا بـأس بـه إذا كانـت

---

(١) من ذلك علىٰ سبيل المثال:
أنـه وردتْ في بعـض كتـب الفقـه التـي طبعوهـا كلمـةُ: (ابـن لَبـون) فقـال المحكِّـكُ في الحاشية: «لم أجد له ترجمة» ! ظنَّه الجاهلُ عَلَمًا من الأعلام !!
وبعـده بقليـل جـاءتْ كلمـةُ: (بنـت لَبـون) فقـال: «لـم أجـد لهـا ترجمـةً، ولعلهـا أخـتُ السابق» !!
وفي كتابٍ آخر قال أحدُ المحكِّكين في تخريج حديثٍ: «رواه النبيُّ» !!
(٢) (٢/ ١٢٤) برقم (١٤٧٧).

الطبعاتُ كلُّها جيدةً أو متقاربةً، أما أن يكون ذلك على حساب الإتقان، وجودة التحقيق فلا !

ولذا أنصح إخواني بالطبعة المتقنة حتىٰ وإن زاد ثمنُها.

٨ - توفيرُ عناء البحث عن الكتاب، وعن طبْعاته المختلفة:

من أعظم فوائد معارض الكتب أنها تجمع أعداداً هائلةً من الكتب، وبطبعاتها المختلفة - لاسيما الكتب التي تُعتَبر مصادرَ، مثل كتب التفسير، وكتب السنة، وكتب التاريخ، ومعاجم اللغة، ونحو ذلك [١] - تجمع ذلك في مكانٍ واحدٍ، وتحت سقفٍ واحدٍ، في وقتٍ واحدٍ !

وهذه نعمةٌ عظيمةٌ جدًا، لا يَقْدُرُها حقَّ قدرها إلا هائمٌ بالعلم، عاشقٌ للكتب !

لذا أنصح زائرَ المعرض ألا يبادر بشراء كتابٍ مّا - لا سيما الكتبَ المشهورةَ - حتىٰ يقيّد عنده في الدَّفْتَر [٢] سعرَ الكتاب،

---

(١) هناك عشراتُ الطبعات لبعض الكتب.

فمثلًا: تفسير القرطبي له أكثر من عشرين طبعة ! وصحيح البخاري له أكثر من خمسين طبعة ! ورياض الصالحين له طبعاتٌ كثيرةٌ جداً ... وهلمّ جرًّا.

(٢) فائدة: الدَّفْتَرُ: عربيٌّ لا يُعلم له اشتقاقٌ. وحُكِي: دِفْتَرٌ بالكسر. ويقال أيضًا: تَفْتَرٌ. مطالع البدور ومنازل السرور للغزولي (ص/ ٢٣٧).

ومميّزاتِ الطبعة باختصار، والدارَ التي أصدرته، ورقمَها ورقمَ جناحها في المعرض، ثم بعد الموازنة يختار الأجودَ والأنسبَ.

ففي أحد المعارض المحليّة وَجدتُ ثمانِ عشرة طبعةً لـ «صحيح البخاري» ! هذا عدا شروحِه.

ثم إن هذا يناسب المهتمّين بجمع الطبعات؛ للموازنة والمفاضلة بينها، فبعضُ الناس له ولعٌ زائدٌ بهذا الأمر؛ فتكون هذه المعارض بالنسبة له أعظمَ متعةٍ ينتظرها بفارغ الصبر، وكما قال الشاعر:

ولكلِّ طالب لذّةٍ مُتنزَّهٌ وألذُّ نُزْهَةِ عالمٍ كُتُبُه !

فلا تبادرْ بشراء أيِّ كتابٍ دون أن تبحث عمّا ذكرتُ لك؛ حتىٰ لا تشتريَ طبعةً رديئةً وهناك ما هو أجودُ منها، أو غاليةَ الثمن وهي هي في دارٍ أخرىٰ بثمنٍ أقلَّ.

٩ - الحصولُ علىٰ الكتاب بثمنٍ أقلّ؛ لوجود التنافس بين المشاركين:

حتىٰ إن بعض المكتبات يكون عندها فائضٌ من الكتب، فتبيعُ كتبَها بثمنٍ زهيدٍ جدًا، إذْ ربّما باعت المجلَّدَ بخمسة أو عشرة ريالات، بينما يكون ثمنُه أكثرَ من ذلك بكثيرٍ.

فهـذا لا شـكّ أنـه مكسـبٌ كبيـر، خصوصـًا لجمهـور النـاس، ومحاويج طلّاب العلم.

١٠ - أنّ المعارضَ تتيح الفرصةَ للمؤلِّفين؛ للتفاهم مع دور النشر علىٰ طباعة كتبهم وإنتاجهم العلمي:

فكم أبرم المؤلِّفون والباحثون في تلك المعارض من عقودٍ مع دور نشرٍ داخليةٍ وخارجيةٍ، لطباعة كتبِهم، ونشر مؤلفاتِهم، دون الحاجة للسفر إلىٰ تلك البلاد - لا سيما القاصيةَ منها - فوفَّروا علىٰ الباحثين عناءَ البحث ومشاقَّ السفر.

وقد حصلَ هذا لي مع بعضِ دور النشر الدَّوْلية.

١١ - في المعارض تشجيعٌ للناشرين لإتقان كتبهم صفًا، وتحقيقًا، وطباعةً، وإخراجًا؛ لوجود المنافِس:

فعندما يشاهدُ الناشرُ الدُّورَ الأخرىٰ وقد أصدرتْ طبعاتٍ متقنةً وجيدةً لبعض الكتب، فإنّ هذا سيُحمّسه لمنافستهم، وسيَحمِلُه ذلك علىٰ إجادة الطبع والتحقيق والإخراج؛ ليكسب القارئَ !

ولذا: فقد كنتُ أنصحُ طلّابي أن يتريّثوا في الشراء حتىٰ يأتي وقتُ المعرض؛ لأنه سيجد في المعرض الطبعاتِ الكثيرةَ، والأسعارَ المناسبةَ المنافِسةَ، مما يتيح له الموازنةَ بين الطبعات المختلفة ... إلىٰ غير ذلك من الفوائد.

١٢ - أن القارئَ يستطيع أن يعرف كلَّ ما صدر في الموضوع الفلاني، أو في المسألة الفلانية؛ لكثرة المعروض من الكتب:

لاسيما في المعارض الدولية التي ربما وصل عددُ الكتب فيها الملايين، فقد عُرض في أحد المعارض الدولية العربية في سنةٍ من السنوات: تسعةُ ملايين عنوان !! وهذا - بلا شكّ - كمٌّ هائل.

ولهذا ينبغي أن يَحرص المهتمُّ - لا سيّما طلّابُ الدراساتِ العُليا - علىٰ زيارة هذه المعارض، حتىٰ ولو كانت في دولٍ أخرىٰ؛ فقد يُعرَضُ هناك ما لا يُعرَضُ في بلده، وقد يُتعَرَّضُ في بعض الأقطار لمسائلَ ونوازلَ لا يُتعَرَّضُ لها في أقطارٍ أخرىٰ؛ لعدم الحاجة إليها.

أما من لم يستطعْ الوصولَ بنفسه إلىٰ المعارض، فإنّ بإمكانه أن يشتريَ الكتابَ وهو جالسٌ في بيته، عن طريق وسائل الشراء الحديثة عبر (الانترنت) وغيره.

١٣ - تـوفيرُ الكتـب والمجـلّات النـادرة، والطبعـات القديمـة، والتجاليد الفخمة:

هنـاك مكتبـاتٌ متخصِّصـةٌ في بيـع الطبْعـات النـادرة، أصـولًا أو تصويرًا، ومن البدَهيِّ أنها ستكون غاليةَ الثمن؛ لأنها طبعاتٌ نادرةٌ.

لكنّ هذا النوعَ له عُشّاقُه، يشترونه ولو بوزنه ذهبـًا ! مثلما صنع ابنُ الخشَّاب عندما باع داره ليشتريَ كتابًا كما سبق.

وقد جاء في كتـاب «إرشـاد السـاري لشـرح صـحيح البخـاري» للقسـطلّاني (١/ ٤١): «ثـم وُجـد الجـزءُ الأوّلُ مـن أصـل اليُـونيني المذكور يُنادَىٰ عليه للبيع بسـوق الكتـب، فعُـرِف وأُحضـر إلـيّ بعـد فَقْدِه أزْيدَ من خمسين سنة! فقابلتُ عليه متنَ شرحي هـذا، فكَمُلـتْ مقابلتي عليه جميعِه حسبَ الطاقة، ولله الحمدُ».

وهنـاك أيضًـا بعـضُ الإصـدارات لا تجـدُها إلا في المعـارض، مثلُ المجلات القديمة التي كان يَكتبُ فيها كبـارُ العلمـاء والكُتَّـاب، مـن أمثـال: المنفلـوطي، والرافعـي، والمـازني، والعقّـاد، والزيّـات، ومحمد رشيد رضا، وأحمـد شـاكر، ومحمـود شـاكر، والطنطـاوي، ومحمـد بهجـت البيطـار، ومحـبّ الـدين الخطيـب، ومحمـد حامـد الفقي، وغيرُهـم.

فهذه المعـارضُ فرصـةٌ عظيمـةٌ؛ لاقتنـاء مثـل هـذه الإصـدارات النادرة.

١٤ - أنه قد يُباع في هذه المعارض الكتابُ المستعملُ:

والكتابُ المستعملُ - وإن كان مستعملاً - إلا أن فيه فوائدَ كثيرةً؛

منها: قِلّةُ ثمنه غالبًا.

ومنها: أنّ بعضَ هذه الكتب قديمةٌ لم تُعَدْ طباعتُها، ولا تكاد تُوجد.

ومنها: أن هذا الكتاب ربما كان لعالِمٍ من العلماء أو محقّقٍ من المحقّقين المشاهير، فيكون ذلك مكسباً في حدّ ذاته، وقد رأيتُ في بعض زياراتي للمكتبات كتبًا خاصةً لسيد صقر، وعبد السلام هارون، وغيرِهما من أعلام المحقّقين.

ومنها: أنكَ ربما وجدتَ بعضَ التعاليق النفيسة علىٰ ذلك الكتاب، وقد تكون تلك التعاليق لواحدٍ أو أكثرَ من العلماء ! وهذا أهمُّها.

يقول العقّاد: «أذكرُ أني عثرتُ بكتابٍ لي، عليه تعليقاتي وملاحظاتي، بعد فقده بخمسٍ وعشرين سنة، ولو علم بائعُه سِرَّهُ عندي لغالَىٰ بثمنه، ولكنه أعطانِيه وهو مُفَرِّطٌ فيه، مسرورٌ بما نقدتُه من ثمنٍ قليل بالقياس إلىٰ رغبتي فيه، كثيرٍ بالقياس إلىٰ رغبة البائع في تصريفه !»[(١)].

---

(١) مجلة الرسالة، العدد (٣٩٥).

وقد اشتريتُ أنا ذاتَ مرةٍ كتاباً مستعمَلاً من مِصر من كتب الكوثري ! فوجدتُ صاحبَ الكتاب قد علّق علىٰ كلِّ صفحةٍ، بل علىٰ كل فقرةٍ من فقراتِ الكتاب !!

١٥ - تَمنحُ المعارِضُ الفرصةَ للمشتري لاختيار شكل الكتاب، وحجمه، وعدد مجلداته، ونوع التجليد، ولون الورق:

وذلك لكثرة المعروض من الكتب في تلك المعارض -لاسيما الكتبَ المشهورةَ - .

فهناك كتبٌ تصدر في مجلدٍ أو مجلداتٍ قليلةٍ (مضغوطةٍ)، وهناك كتبٌ تصدر في مجلداتٍ كثيرةٍ.

وهناك أحجامٌ مختلفةٌ للكتب: حجمٌ صغيرٌ، ووسطٌ، وكبيرٌ.

وهناك كتبٌ ذاتُ ورقٍ أصفر فاخرٍ (شمواه)، وكتبٌ ذاتُ ورقٍ أبيضَ ناصعٍ مصقولٍ، أو ورقٍ شعبيٍّ خفيفٍ ... إلخ.

وهناك طبعاتٌ ملوّنةٌ فاخرةٌ [١]، وطبعاتٌ خاليةٌ منها.

هذه بعضُ أهداف المعارض ذكرتُها علىٰ عُجالةٍ، وإلا فإنّ بعضَها يحتمل البَسْطَ والتفصيلَ.

---

(١) جاء في بعض الإحصائيّات، أنّ الناسَ تُقبل علىٰ الكتاب المطبوع بألوانٍ أكثرَ من الكتاب العادي، مع أنّ تكلفتَه أربعةُ أضعاف الكتاب العادي!

الفصلُ الثالثُ

مقترحاتٌ وتحذيراتٌ



الفصل الثالث
مُقترحاتٌ وتَحذيرات

هذه بعض الاقتراحات والتحذيرات، ينبغي أخذُها بعين الاعتبار، لاسيما من قِبَل المسئولين عن إقامة معارض الكتب.

أولًا: يجب عدم استغلال هذه المعارض لنشر كتب الإلحاد، والزندقة، وعلم الكلام، وكتب الفرق الضالّة!

وذلك بحجّة التنوير ! أو الانفتاح ! أو الحريّة الفكرية ! أو غيرِ ذلك من الشعارات الزائفة .

وهذا - مع الأسىٰ البالغِ - يُوجَد في كثيرٍ من معارض الكتب التي تُقامُ في الدول العربيّة والإسلاميّة !!

حيثُ تُعرَضُ مثلُ هذه الكتب الزائغة لعموم الناس، ويُروَّجُ لها، بل قد تُعقَدُ لها نَدْواتٌ خاصةٌ؛ للتعريف بها، والتنويه بشأنها !!



ولذا فقد حذّر العلماءُ من هذه الكتب أشدَّ التحذير؛ لِعظَيمِ خَطرِها، وشديدِ ضَررِها [١].

---

(١) قال الإمامُ أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي: «عاش ابنُ الراوندي والمعرِّي - عليهما لعائنُ الله - يَنظُمون ويَنثُرون، هذا يقول: حديث خرافة! والمعرّي يقول:

تَلَوْا باطلاً وجَلَوْا صارِمًا   وقالوا: صَدَقْنا؟ فقلنا: نعمْ!

يعني بالباطل: كتابَ الله عَزَّوَجَلَّ! وعاشوا سنينَ، وعُظِّمتْ قبورُهم، واشْتُريتْ تصانيفُهم، وهذا يدلُّ علىٰ بُرودة الدين في القلب». الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (١/ ٢٣٧).

❁ وقال الإمامُ القرافيُّ: «أربابُ البدع والتصانيف المضلَّة ينبغي أن يُشهِرَ الناسُ فسادَها وعيبَها، وأنهم علىٰ غير الصواب؛ ليحذرَها الناسُ الضعفاءُ فلا يقعوا فيها، ويُنفَّرَ عن تلك المفاسد ما أمكن، بشرط أن لا يُتعدَّىٰ فيها الصِّدق». أنوار البروق في أنواء الفروق (٤/ ٢٠٧).

❁ وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: «كُره لمنْ لا يكون له نقدٌ وتمييزٌ، النظرُ في الكتب التي يكثرُ فيها الكذبُ في الرواية، والضلالُ في الآراء، ككتب أهل البدع.
وكُرِهَ تَلَقِّي العلم من القُصَّاص وأمثالهم الذين يَكثُر الكذبُ في كلامهم، وإن كانوا يقولون صِدقًا كثيراً». منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٦٨).

❁ وقال أيضًا: «مَنْ أدمنَ علىٰ أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقىٰ لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع». اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٤٣).

❁ وقال الإمامُ ابنُ القيّم: «الكتبُ المشتملةُ علىٰ الكذب والبدعة يجب إتلافُها وإعدامُها، وهي أولىٰ بذلك من إتلاف آلاتِ اللهو والمعازف، وإتلاف آنية الخمر، فإنّ ضررَها أعظمُ من ضرر هذه، ولا ضمانَ فيها، كما لا ضمانَ في كسر أواني الخمر وشقِّ زِقاقِها». الطرق الحكْمية (٢/ ٧١٤).

❁ وقال أيضًا: «لا ضمان في تحريق الكتب المضلَّة وإتلافها.

=

وجاء في ترجمة الخليفة العباسي المعتضِد بالله (ت ٢٨٩ هـ) أنه أمر في أول سنةٍ استُخلفَ فيها (٢٧٩ هـ) ألّا يَقعدَ في الطريق مُنجِّمٌ، ولا قَصَّاصٌ، ومنع الورَّاقين واستحلفَهم ألّا يبيعوا كتبَ الفلاسفة والجدَل [(١)].

= قال المرْوَذي: قلتُ لأحمد: استعرتُ كتاباً فيه أشياءُ رديئةٌ، ترىٰ أن أُخرِّقه أو أُحرِّقه؟ قال: نعم.

وقد رأىٰ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بيد عمر كتاباً اكتتبه من التوراة، وأعجبه موافقتُه للقرآن، فتمعَّر وجهُ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حتىٰ ذهب به عمرُ إلىٰ التنُّور فألقاه فيه.

فكيف لو رأىٰ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما صُنِّف بعده من الكتب التي يُعارِضُ بعضُها ما في القرآن والسنة؟ والله المستعان» المصدر نفسه (٢/ ٧١٠).

❁ **وقال أيضاً:** الكُتب المشتمِلَةُ علىٰ الشرك، وعبادة غير الله، يجب إزالتُها وإعدامُها. وبيعُها ذريعةٌ إلىٰ اقتنائها واتّخاذها، فهو أولىٰ بتحريم البيع مِن كلِّ ما عداها؛ فإنّ مفسدةَ بيعها بحسب مفسدتها في نفسها. زاد المعاد (٥/ ٧٦١) بتصرفٍ يسير.

❁ **وقال الحافظُ الذهبيُّ:** «العِلمُ الذي يحرُم تعلُّمه ونشرُه: علمُ الأوائل، وإلهيّاتُ الفلاسفة، وبعضُ رياضتهم بل أكثرُه، وعلمُ السحر، والسيمياءُ، والكيمياءُ، والشعبذةُ، والحِيَلُ، ونشرُ الأحاديث الموضوعة، وكثيرٌ من القَصَص الباطلة أو المنكرة، وسيرةُ البُطَّال المختلَقَة، وأمثالُ ذلك، ورسائلُ إخوان الصفا، وشِعرٌ يُعرضُ فيه إلىٰ الجناب النبوي.

فالعلومُ الباطلةُ كثيرةٌ جداً فلتُحذرْ، ومن ابتُلي بالنظر فيها للفُرجة والمعرفة من الأذكياء، فليُقلِّلْ من ذلك، وليطالعْه وحدَه، وليستغفرِ اللهَ تعالىٰ، وليلتجئْ إلىٰ التوحيد، والدعاء بالعافية في الدين. وكذلك أحاديثُ كثيرةٌ مكذوبةٌ وردتْ في الصفات، لا يحلُّ بثُّها إلا التحذير من اعتقادها، وإن أمكن إعدامُها، فحسنٌ. اللهم فاحفظْ علينا إيمانَنا، ولا قوّة إلا بالله». سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٠٤).

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص/ ٥٦٩) و (ص/ ٥٧٣).

ثانيـًا: عدم السماح بعرض الكتب المنحَطَّة أخلاقيًا:

كـدواوين الشـعر الفاضـحة، والقَصَـص الماجنـة، والمجـالّ الهابطة، وهذه موجودةٌ في أكثر المعارض، لاسيما الدوليّةَ منها!

قـال العلّامـةُ تـاجُ الـدين السُّـبكي عـن الواجـب علىٰ المشـتغل بنَسْخ الكتب - الذين هم بمثابة أصحاب دُور النشر اليـوم -: «ومِـن حقِّه ألَّا يكتبَ شيئًا من الكتب المضلَّة؛ ككتب أهل البدع والأهواء؛ وكذلك لا يَكتـبُ الكتـبَ التـي لا يَنفـع اللهُ تعـالىٰ بهـا؛ كسِـيرة عنـترة وغيرِها من الموضوعات المختلَقَة التي تضيّع الزمان، وليس للـدين بهـا حاجـةٌ. وكـذلك كتـبُ أهـل المجـون، ومـا وضـعوه في أصـناف الجِماع، وصفات الخمور، وغير ذلك ممَّا يهيِّج المحرَّمات.

فنحن نُحذِّر النسَّاخَ منها؛ فـإنَّ الـدنيا تغـرُّهم، وغالبًـا مُسـتكْتِبُ هذه الأشياء يُعطِي من الأجرة أكثرَ ممَّا يُعطيه مُستكْتِبُ كتـبِ العلـم؛ فينبغي للناسخ ألَّا يبيعَ دينَه بدنياه»[(١)].

وقـال الشـيخُ محمـدُ البشـيرُ الإبراهيمـيُّ (ت ١٩٦٥ م): «إنَّ الكتابَ الـذي يُقـرَأُ كالطعـام الـذي يُؤكَـلُ، فطعـامٌ يُعطِـي آكلَـه القـوةَ والفَرَاهَةَ، وطعامٌ يُعطِي آكلَه الضَّعْفَ والهُزالَ!»[(٢)].

---

(١) معيد النعم ومبيد النقم (ص/ ١٠١).

(٢) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤/ ٣٧٤).

وقال الشيخُ صالحُ الفوزان: «مِن آفات اليهود: أنهم يؤلِّفون المؤلفاتِ ويكتبونها بأيديهم، ويضمِّنونها الباطلَ، ويقولون: هذا من عند الله؛ ليحصلوا علىٰ مكافأةٍ من الناس، أو يبيعوا هذه الكتب في الأسواق وتدر عليهم أموالاً.

وتصنيفُ الكتب الضالّة وترويجُها علىٰ الناس حرفةُ اليهود، وَمَنْ تشبَّه بهم من هذه الأمة» (١).

والعجيبُ أنّ أسعارَ هذا اللون من الكتب عاليةٌ جدّاً، ومع هذا تجد تكالبَ الناس عليها علىٰ أشُدِّه!!

وإنفاقُ المال في شراء هذه الكتب مذمومٌ للغاية، وكلُّ إنسانٍ سوف يُسألُ يومَ القيامة عن ماله من أينَ اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟ وقد نبّه شيخُ الإسلام إلىٰ أنّ إنفاقَ الأموال في كتابٍ من كتب الفجور: من كتب الأسمار أو الأشعار، أو حكمة فارس والروم، من الفساد الذي لا صلاحَ فيه! (٢).

ولله درُّ أبي بكر الخوارزمي حيثُ قال: «الغَيْرَةُ علىٰ الكُتب من المكارم، بل هي أُخْتُ الغَيْرَة علىٰ المحَارِم» (٣).

---

(١) شرح مسائل الجاهلية (ص/ ١١٦).

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٢٦).

(٣) يتيمة الدهر (٤/ ٢٢٤).

ثالثًا: ينبغي للقارئِ الحريصِ علىٰ وقتِهِ ومالِهِ وفِكْرِهِ وأخلاقه، أن لّا يقعَ في مَصْيَدةِ كتب الرواياتِ الأدبيّة!!

فإنّ أكثرَها رِواياتٌ سَخيفةٌ فَجَّةٌ[1]، هدفُها جمعُ المالِ! وتضييعُ الوقت! وبعضُها يَهدفُ إلىٰ زَعزعةِ العقائد، وزَلزلةِ الأخلاق!!

وإذا أُصيبَ القومُ في أخلاقِهم فأقِمْ عليهم مَأْتمًا وعَويلا!

قال ابنُ الجوزي عمّن يشتغل بمثل هذا: «رأيتُ عُمومَ الخلائق يدفعون الزمانَ دفْعًا عجيبًا: إن طال الليلُ، فبحديثٍ لا ينفع، **أو بقراءة كتابٍ فيه غَزاةٌ وسَمَرٌ!** وإن طال النهارُ، فبالنوم! وهُم في أطراف النهار علىٰ دجلة أو في الأسواق! فشبّهتُهم بالمتحدِّثين في سفينةٍ، وهي تجري بهم، وما عندهم خبرٌ!»[2].

---

(١) تأمّلْ معي هذه العناوينَ لبعض تلك الروايات، فإنها ستُشعِرُكَ بالمضمُون: «فُسُوق»! «نُباح»! «شُرْفة العار»! «فئران أمّي حِصّة»! «نساء المنكَر»! «طُقُوس الغِواية»! «قبل أن تبرد القهوة»! «ستعشقني رُغم أنفك»! «كخّه يا بابا»! «اغتصابٌ شرعي»!! «المختصر، من سيرة المنْدي المنتظَر»!! «عايزه أتجوّز»! «سُكّر زيادة»! «نساء قصّ ولزق»! «أحببتُك أكثر ممّا ينبغي»! «اكتشاف الشهوة»! «زوجتي من الجنّ»! «أُنوثة طاغية»! وغيرُها الكثيرُ الكثيرُ من هذا الغُثاء!

(٢) صيد الخاطر (ص/ ٢٥٧).

وقال ابنُ تيمية: «مَنْ أدمنَ قَصَصَ الملوك وسِيَرَهم؛ لا يبقىٰ لقَصَصِ الأنبياء وسِيَرهم في قلبه ذاك الاهتمام» [(١)] .

وتقدّم معنا قبل قليلٍ قولُ السُّبكي: «وكذلك لا يَكتبُ الكتبَ التي لا يَنفع اللهُ تعالىٰ بها؛ كسيرة عنترة وغيرِها من الموضوعات المختلَقَة التي تضيّع الزمان، وليس للدين بها حاجةٌ».

وقد أُتْخِمَتْ أسواقُ الكتبِ بِغَثَرِ هذه الرواياتِ وغُثَائِهَا، وصار لها سوقٌ رائجةٌ، لاسيّما بين الشبابِ والنساءِ، الذين هم وَقُودُها ومَقصُودُها !

وممّا يدلُّكَ علىٰ بَلوىٰ هذه الروايات؛ أنّ أصحابَ الفِكْر المنحرفِ قد وَجدوا فيها بُغيتَهم وطِلْبتَهم، فأخذوا يَدسُّون فيها السَّمَّ الزُّعافَ، يَرُومُونَ من وراءِ **ذلك أمرين:**

أولُهما: بثُّ أفكارِهم المنحرفةِ فيها بطريقةٍ لا يَكادُ يَتفطّنُ لها إلّا الحاذقُ اللبيبُ، وذلك عن طريقِ الإيحاءِ إذا خافوا الرَّقِيب! أو التصريحِ إذا غاب الحَسِيب!

وثانيهما: اللِّواذُ عندَ المحاسبةِ والمعاقبةِ – إذا ما تُفُطِّنَ لهم وحانتْ ساعةُ المحاقَقَة! – لأنه سيقولُ: هذا ليس كلامي ولا أعتَقِدُه! وإنما هو كلامُ فلانٍ من أشخاصِ الرواية! [(٢)] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٤٣).

(٢) كما كتب أحدُ الروائيّين من زنادقة العصر – أخزاهُ اللهُ – في بعضِ رواياتِه، علىٰ لسانِ أحدِ أشخاصِها: «فاللهُ والشيطانُ واحدٌ هنا، وكلاهما وَجهانِ لعُمْلَةٍ واحدة»!!!

لكـنّ هـذا لا يمنـعُ مـن وجـودِ بعـضِ كتـبِ الروايـاتِ الهادفـةِ السديدةِ، التي قد يُستفادُ منها الأدبُ والفِكرُ، فهذه لا بـأس بقراءتِهـا والانتفـاعِ بمـا فيهـا، ولا سـيّما التـي كتبهـا الأدبـاءُ المتّزِنـونَ مـن أصحابُ الفِكْر النظيف.

ومثلُهـا كتـبُ الـرحَلات، فإنهـا مناسـبةٌ جـدًّا للمُـولَعِين بالسَّـرْدِ القصصـي والحكايـاتِ والماجَرَيَـاتِ، لا سـيّما إذا كانـت لعلمـاءَ فضلاءَ، من أمثالِ شيخِ الرحّالين: محمد بن ناصر العبـودي - الـذي طوّف أصقاعَ المعمورة وشرّق وغرّب - وغيرِه.

رابعـًا: الحذرُ من الاختلاط بين الرجال والنساء:

لأن هذه الأماكنَ - أعني معارضَ الكتب - أماكنُ قُربةٍ إلـىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لما يُباع فيها من الكتب العِلمية النافعة.

والواجـبُ أن يُخصَّـص وقـتٌ للرجـال، ووقـتٌ للنسـاء أو العائلات؛ دَرْءً للاختلاط والفتنة!

أمّـا النسـاءُ الّلائـي لا يـأتين المعـارِضَ إلا مـن أجـل الفُرْجـة! واسـتعراض المفـاتن أمـام الغـادي والـرائح! والتقـاط الصُّـور! **فأقول لهنَّ:**

جاءتْ لتِعرِضَ نفسَها في مَعرِضٍ ... للكُتْبِ لا للزِّيِّ، بِئسَ المقْصِدُ !

أَوَ مَا دَرَتْ تلكَ الفتاةُ بأنه ... يبكي الحَيَا مِن فِعلِها والسُّؤْدَدُ ! (١)

خامسًا: ألّا يكون هَمُّ الجهة المنظِّمة للمعرض وكذا الناشر، الكسبَ الماديَّ فقط !!

بل يجب أن يكون الهدفُ هو نفعُ الناس ونشرُ العلم، والمالُ سيحصلُ تَبعًا إن شاء الله تعالىٰ، والله عَزَّوَجَلَّ سيبارك في القليل إذا صاحبَه الإخلاصُ.

وقد سُئل شيخُ الإسلام عن رجل نوىٰ كتابةَ الحديث والقرآن العظيم لنفسه أو للبيع، هل يكون له أَجرٌ وثوابٌ؟

فأجاب: ليس عليه إثمٌ فيما ينويه ويفعلُه من كتابة العلوم الشرعية؛ فإنّ كتابةَ القرآن والأحاديث الصحيحة والتفاسير الموجودة الثابتة، من أعظم القربات والطاعات .... ويُؤجَر الإنسانُ علىٰ كتابتها، سواءٌ كتبها لنفسه، أو كتبها لبيعها، كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يُدخِلُ بالسهمِ الواحدِ ثلاثةً الجنةَ: صانعَه،

(١) لطيفة: رأىٰ ديوجانس الكلبي الحكيمُ المشهورُ امرأةً متزينةً في ملعب، فقال: لمْ تَخرجْ لِترَىٰ، ولكنْ لِتُرِي !! الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٠٢).

والرامي به، والمُمِدَّ به» [(١)] فالكتابةُ كذلك؛ لينتفع به، أو لينتفع به غيرُه، كلاهما يثاب عليه [(٢)] .

سادسًا: إجراءُ حواراتٍ مباشرةٍ بين الناشر والقارئ، وبين المؤلِّف والقارئ:

وهذا فيه فوائدُ لِكلا الطرفين، حيثُ يَبثُّ كلُّ واحدٍ همومَه وأفكارَه وخبراتِه للآخَر.

سابعًا: استضافةُ أصحاب القراءات الواسعة، وكبار المثقفين، وكذلك المهتمّين بجمع الكتب النادرة والطبعات القديمة، في محاضراتٍ ولقاءاتٍ علىٰ هامش المعرض:

وذلك ليبيّنوا للناس تجاربَهم وحكاياتهم مع القراءة، والبحث، والكتابة، وجمْع الكتب، وطلب العلم، وغير ذلك؛ مما فيه تحفيزٌ للناس وتشجيعٌ لهم علىٰ القراءة وحُبّ الكتاب.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٥٣٣) وغيره. قال محققوه: حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده.

(٢) انظر الفتاوىٰ الكبرىٰ (٥/ ٨٤)، ومجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٧٤).

ثامنـًا: عدمُ التحسُّر علىٰ المال الذي يُنفقه المشتري علىٰ شراء الكتب النافعة:

لأن إنفاقَ المال علىٰ شراء الكتب النافعة عبادةٌ عظيمةٌ، كما أنها نفقةٌ مخْلُوفةٌ بإذن الله تعالىٰ.

ويعجبني كلامٌ لأحد الكُتّاب قال فيه: إنّ الشابَّ ليدفع خمسين ريالًا؛ لإصلاح رأسه من الخارج - يقصد قَصّات الشَّعَر -، ويبخل أن يدفع خمسة ريالاتٍ؛ لإصلاح رأسه من الداخل - يقصد بشرائه كتابًا يقرأه - !!

ولهذا يقول الجاحظُ: « الانسانُ لا يَعلمُ حتىٰ يكثر سماعُه، ولا بدّ من أن تكون كتبُه أكثرَ من سماعه.

ولا يَعلمُ، ولا يَجمع العلم، ولا يُختلَف إليه، حتىٰ يكون الإنفاقُ عليه من ماله، ألذَّ عنده من الإنفاق من مالِ عدوّه !

ومَن لم تكن نفقتُه التي تَخرج في الكتب، ألذَّ عنده من إنفاق عشّاق القيان، والمستهترين بالبنيان، لم يبلغ في العلم مبلغا رَضِيّا !

وليس ينتفع بإنفاقه، حتّىٰ يُؤْثِر اتّخاذَ الكتب إيثارَ الأعرابيِّ فرسَه باللبن علىٰ عياله، وحتّىٰ يؤمِّل في العلم ما يؤمِّل الأعرابيُّ في فرسِه!» [١].



(١) كتاب (الحيوان ١/ ٤١).

تاسعًا: تنظيمُ مسابقاتٍ في البحوث الثقافية، ومسابقاتٍ في الشعر والقَصَص والخطابة، وإلقاءُ أسئلةٍ مباشرةٍ لجمهور المعرِض:

فكما تُقام ندواتٌ، وحواراتٌ، ومحاضراتٌ، وبعضُ المنافسات، علىٰ هامش المعرض، فحبّذا لو تُجرىٰ أيضًا مسابقاتٌ في البحوث الثقافية، والشعر والقَصَص والخطابة، وتُلقىٰ أسئلةٌ مباشرةٌ لروّاد المعرِض، وتكون الجوائزُ كلُّها مجموعةً من الكتب.

عاشراً: – وهو اقتراحٌ لطيفٌ – أرىٰ أن يُستَجلَبَ هؤلاء الشبابُ الذين يتسكَّعُون في الأسواق، ويُؤْذُون الناسَ بأقوالهم وتصرّفاتهم ! أرىٰ أن يُستَجلَبوا إلىٰ معارض الكتب؛ ليمارسوا هوايةَ التسكُّع بين الكتب !

فلعلَّ ذلك يكون سببًا لهدايتهم، وطريقًا لاستقامتهم. إن شاء الله تعالىٰ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفهارس



فهرس الفوائد واللطائف

الفائدة أو اللطيفة — الصفحة

الفائدة أو اللطيفة **الصفحة**





فـهـرس مـوضـوعـات الـكتـاب

تم الصف والإخراج بإشـراف

مكتب ابن قيم للبحث العلمي

٠٠٢ ٠١٢ ٨٣ ٦ ٥٥ ٦ ٧٨